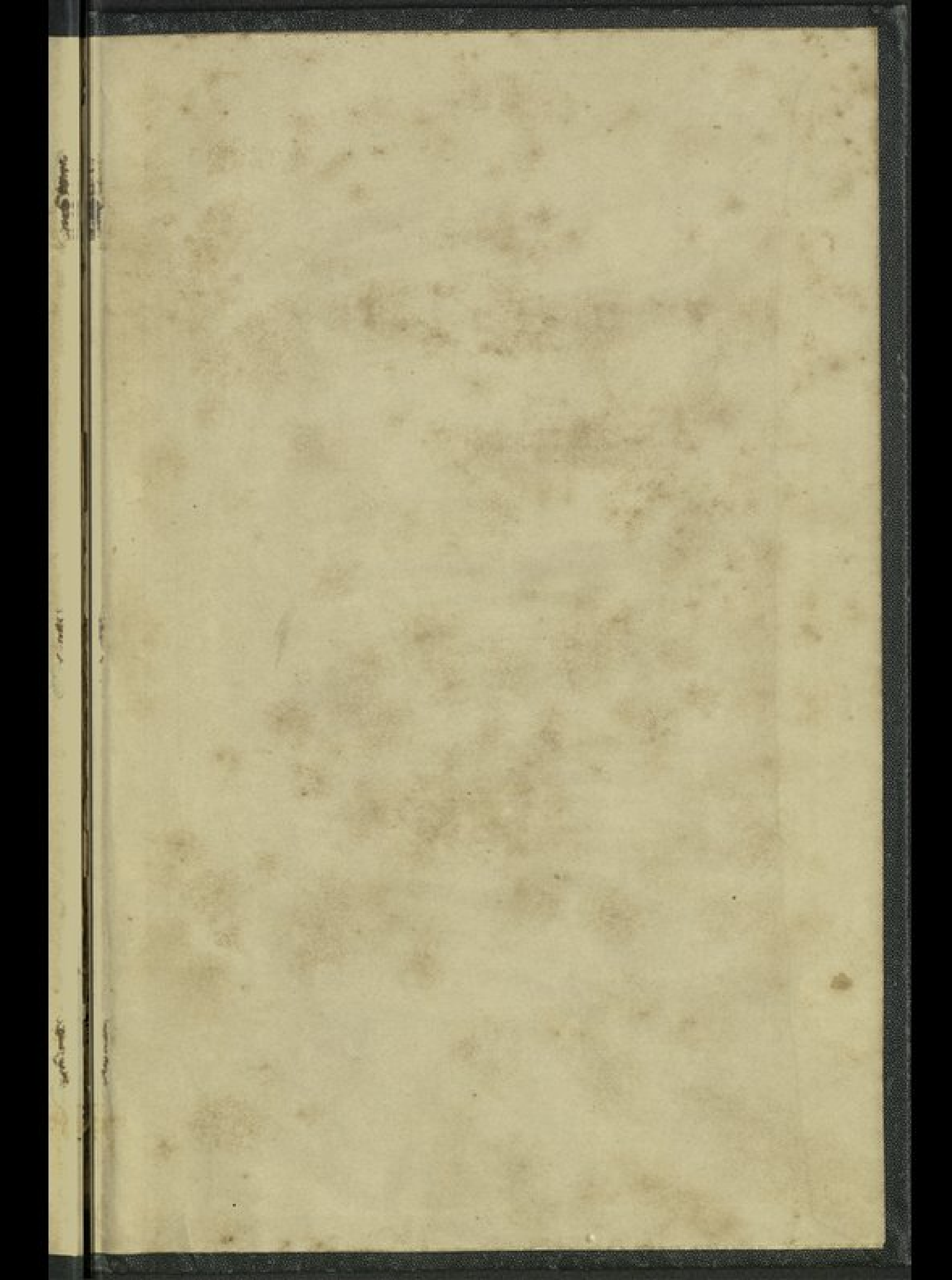
السوريون في الولايات المتحدة الاميركية



السوريون

في الولايات المتحدة الاميركية

للاستاذ فيليب حتي

(طبعت في مطبعة المقتطف في مصر سنة ١٩٢٢)

نقلاً عن المجلد الستين من المقتطف

السوريون في الولايات المتحدة

وهو درس اجتماعي اخلاقي في تاريخ مهاجرة السوريين للولايات المتحدة واسبابها وبيان تطوّرهم وتفوقهم التجاري والصناعي ووصف بمجمل احوالهم الاجتماعية والادبية والدينية مع بيان مشاكلهم الخصوصية وعلائقهم بوطنهم القديم ووطنهم الجديد

تاريخ مهاجرة بني الانسان قديم يشمل كل جيل وعصر . منهم من هاجر للقنص او طلب المرعى وبعضهم للغزو والحرب وغيرهم للفتح الديني وآخرون للاستعمار والارتزاق او للسياحة والتفرج . ولكنّ الكل هاجروا . ولا يعرف شعب وُلد ونشأ وتمدّن ولم يزل في مكان واحد

المهاجرة والتمدُّن : وللمهاجرة علاقة بمدنية الانسان حيوية لازمة . حتى ان تاريخ الواحدة يكاد يكون تاريخ الاخرى

فالاسرائيليون يبدأ تاريخهم وتمدّنهم بنزوح ابرام من اور الكلدانيين والاتراك بقدومهم في اواسط القرن الثالث عشر الى برّ الاناضول والامم الغربية الاوربية من المانية وانكليزية وافرنسية وايطالية بزحف القبائل البربرية من الشمال واندماجها بعضها مع بعض ومع الشعوب الرومانية .والجمهوريات الاميركية بمهاجرة الاقوام الانكلوسكسونية والاسبانية والبرتغالية الى العالم الجديد وامتزاج بعضها ببعض وبالسكان الاصليين . اما مدنية العرب فانها ازدهرت وبلغت اوج معاليها في بغداد وقرطبة وغرناطة لا في مكة والمدينة

التعليل : وتعليل ذلك ليس بالصعب العويص. لا يقدم على السفر الاَّ النشيط القوي البنية الطامح الى العلاء الراغب في تحسين حالتهِ . تلك قضية تصح على المهاجرين في القرون الغابرة اكثر منها على مهاجري ايامنا الحاضرة وقد تعدَّدت وسائل النقل وتسهلت اسبابهُ حتى كاد عبور الاوقيانوس الاتلانتيكي في احدى البواخر الحديثة الكبرى بما فيها من رياش فاخر وما كل نفيس ودواعي اللهو والراحة يُعدُّ ضرباً من الرفاه والترف . والمهاجرون اجمالاً يمثلون شبيبة الامة ويدها العاملة وسلسلة الظهر منها . فالعاجز لا يسافر وقصير النظر لا يغترب والمسنّ يفضّل الاقامة حيث هو اما ذو العاهات واصحاب الجرائم فللبلدان

الحديثة شرائع تصدهم عن الهجرة اليها

هذا اولاً وثانياً فالمحيط الجديد باقليمهِ وهوائهِ وروحهِ ومدنيتهِ يستدعي في الغالب ظهور قوى كامنة في المرء ربما لم يشعر بوجودها فيهِ لو تخلَّف ويتطلب انماء مواهب ربما بقيت راقدة لولا ان هاجر وانتقل . وامتزاج المهاجرين بواسطة التزاوج مع غيرهم واحتكاكهم بطرق تفكيرٍ جديدة ونظام اجتماعي غريب عنهم يكون في الاكثر داعياً لتنبيه قواهم العاقلة وانعاشها . تلك حقيقة مقرَّرة . انما علماء الاجتماع لم يتحققوا للآن السنن التي تجري عليها هذه التغيرات النفسية والمبادىء التي تسير بموجبها

وعلى عكس ذلك فالاستمرار في بيئة واحدة تحت تأثير عوامل عمرانية ثابتة من شأنهِ الجمود والخمول وبالتالي التقهقر والانحطاط

السوريون في كل اطوارهم نقالون رحالون . ليس من قطر يستبعدونهُ ولا من قطر يستغربونهُ . بلاد الله الواسعة بلادهم والامة التي يعيشون ويعتاشون بين افرادها هي امتهم ولكن هجرتهم لم تبلغ قط من حيث الاهمية والعد والشأو الذي بلغتهُ في عصرنا الحاضر الى الولايات المتحدة

(١) مهاجرة السوريين الى الولايات المتحدة

﴿ عددهم ﴾ عدد السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة امرٌ يهون تقديرهُ ويصعب تحقيقهُ . فمدير المهاجرة الاميركية قبل سنة ١٨٩٩ لم يعترف بهويتهم كسوريين بل طواهم مع العرب والارمن واليونان والاتراك تحت لقب « اتراك اسيويون » . اما الحكومة التركية فلا علم لها رسمي بالمهاجرة لاميركا لانها منعتها على الورق . وكل المهاجرين من ابنائها انما سافروا « لمصر » . واني كنت في جملة الذين سافروا « لمصر » لما سافرت الى اميركا كما يشهد بذلك جواز سفري (باسبورتي)

كذلك مدير الاحصاء الاميركي الذي يحصي كل سكان الولايات المتحدة مرة كل عشر سنين فانهُ في احصائهِ عام ١٩١٠ (١) انكر وجود ابناء سوريا في بلادهِ

(١) في السنة الفائتة سنة ١٩٢٠ جرى الاحصاء الرابع عشر والاخير لسكان الولايات وكتبت في حينه الى المدير في العاصمة وشددت بوجوب تقييد اسماء السوريين في قائمة وحدها واعتبارهم امة مستقلة فوعدني خيراً وللآن لم اتمكن من الاطلاع على تقاريره لاثبات نتيجة احصائه

ولم يذكرهم بشيء على الاطلاق ثم عاد فتكرَّم بهذا الرقم ٤٦٧٢٧ تحت عنوان « المتكلمون بالسورية (هكذا) والعربية (٢) »

اذا كانت تلك نتيجة الابحاث الرسمية فما قولك بالتخمينات الصحافية والخطابية؟ فانها تتدرج من ٦٠٠٠٠ كحدٍّ ادنى وهو تقدير الدكتور ربرتس(٣) الذي تعتمد عليهِ جمعية الشبان المسيحيين وتعتبرهُ ثقة لها في كل ما يتعلق بشؤون المهاجرين الى ٤٠٠٠٠٠ كحدٍّ اعلى وهو تقدير مجلة من معتبرات المجلات الاميركية (٤)

منذ عام ١٨٩٩ نشط مدير المهاجرة في الولايات المتحدة واخذ يدوّن عدد « المهاجرين » من السوريين منفردين مفرزين عن غيرهم من تبعة الدولة العلية في آسيا الغربية . وهاك عددهم نقلاً عن تقاريرهِ السنوية (٥)

السنة	عدد المهاجرين من السوريين	السنة	عدد المهاجرين من السوريين
١٨٩٩	٣٧٠٨	١٩١٠	٦٣١٧
١٩٠٠	٢٩٢٠	١٩١١	٥٤٤٤
١٩٠١	٤٠٦٤	١٩١٢	٥٥٢٥
١٩٠٢	٤٩٨٢	١٩١٣	٩٢١٠
١٩٠٣	٥٥٥١	١٩١٤	٩٠٢٣
١٩٠٤	٣٦٥٣	١٩١٥	١٧٦٧
١٩٠٥	٤٨٢٢	١٩١٦	٠٦٧٦
١٩٠٦	٥٨٢٤	١٩١٧	٠٩٧٦
١٩٠٧	٥٨٨٠	١٩١٨	٠٢١٠
١٩٠٨	٥٥٢٠	١٩١٩	٠٢٣١
١٩٠٩	٣٦٦٨	المجموع	٨٩٩٧١

(٢) مجلد ١ ص ١٠٠٦ و١٠١٥ "U.S. Thirteenth Census Reports"

(٣) صفحة ٧٤ Peter Roberts, "Immigrant Races in North America"

(٤) عدد ٣ ايار سنة ١٩١٩ "Litearary Digest" (٥) صفحة ١٦٨ سنة ١٩١٩ "Annual Report, Commissioner General of Immigration"

فيكون جملة « المهاجرين » السوريين ٨٩٩٧١ نفساً حسب الاحصاء الرسمي في خلال احدى وعشرين سنة نهايتها ٣٠ حزيران سنة ١٩١٩ ومنزلتهم من حيث العدد الخامسة والعشرون بين تسع وثلاثين امة دوّن قلم المهاجرة عدد مهاجريها

ولنا هنا ملاحظات لا بد من اعتبارها . واولها ان المقصود « بالمهاجرين » في عرف دائرة المهاجرة اولئك فقط الذين لدى استجوابهم عنددخولهم الولايات يصرّحون انهم ينوون الاقامة فيها واعتبارهم وطناً دائماً لهم في مستقبل الايام . وزد على ذلك ان حكومة الولايات لم تسنّ قانوناً يقضي على البواخر التي تبحر من موانئها بتقديم لوائح باسماء الركاب لتعيين عدد الراجعين من المهاجرين الى بلدانهم الاصلية الا بعد سنة ١٩٠٦ . فلا سبيل اذاً لنا لاحصاء عدد السوريين الذين غادروا الولايات قبل تلك السنة . اما في العشرين سنة السابقة لسنة ١٨٩٩ فلا واسطة لدينا على الاطلاق لمعرفة عدد الداخلين والخارجين من بني قومنا . ومن المعلوم ان حكومة الولايات سنّت حديثاً قانوناً يعمل بهِ لآخر حزيران من سنة ١٩٢٢ يجيز دخول ٣ في المئة فقط من عدد اي شعب كان في الولايات في عام ١٩١٠ وذلك صدّاً لتيّار المهاجرة الناجم عن الحرب العظمى

ورغماً عن ذلك كلهِ فلا بدّ لنا من اعتبار هذا العدد ٨٩٩٧١ اساساً للتقدير . فاذا فعلنا ذلك واضفنا اليهِ ما نظنهُ دخل البلاد قبل ذلك مع ما زاد بالتوالد ثم اسقطنا من المجموع عدد الراجعين الى سوريا وعدد المتوفين (٦) يرجح لدينا ان عدد السوريين اليوم في الولايات المتحدة والمتحدرين منهم يناهز ٢٥٠٠٠٠ نسمة

على ان الرقم المذكور اعلاه ٨٩٩٧١ يمثل عدد الذين اجازت الحكومة دخولهم الى الولايات لا عدد الذين تركوا بلادهم وحاولوا الدخول. اذ ان عدد الذين صدّتهم المهاجرة عن الدخول بداعي مرض معد او جرارة في الجفون (تراخوما) او خشية صيرورتهم عالة على البلاد او لجهلهم القراءة والكتابة في لغة من

(٦) عدد المتوفين يهون استنتاجه من احصاءات شركات تأمين الحياة ومنها يعرف معدل الوفيات من السكان

اللغات (٧) او بسبب ارتباطهم من بلادهم بشغل في الولايات يأتون رأساً اليهِ (٨) فهو عدد كبير لا يستهان بهِ

ومما يدل على كون بعض الذين حرموا الدخول انما ظُلموا حادثة تلميذ مصري اوقفتهُ في الخريف الفائت ادارة المهاجرة في مدينة بوسطن نحواً من شهرين اشتباهاً منها بمرض التراخوما في عينيهِ مع ان الشاب كان قد شفي من المرض تماماً قبل مغادرتهِ مصر مما يدل على ان الاطباء الاميركين ليس لديهم اختبار كاف يمكنهم من تشخيص هذا المرض تشخيصاً صحيحاً . وكنت في جملة الذين زاروا هـذا الشاب في محل توقيفهِ واهتموا بمسألة اطلاق سراحهِ . ولقد ذكر السناتور هور في سيرة حياتهِ (٩) قصة صبيين سوريين دون سن البلوغ اوقفتهما ادارة مهاجرة نيويورك ايضاً بسبب التراخوما» في الجزيرة Ellis Island واصرّت على ارجاعهما الى سوريا بعد ان اجازت لوالديهما الدخول للالتحاق بزوجها في مدينة ووستر ماس الامر الذي أثار حنق السناتور (عضو في مجلس الشيوخ) فارسل تلغرافاً الى رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ (روزفلت) واستغاث بهِ ليتوسط لرفع وصمة العار « عن شرف الامة الاميركية وعن رايتها ». فاصدر روزفلت امرهُ للحال باخلاء سبيلهما . وكم كان عجبهُ لدى زيارتهِ السناتور هور في بيتهِ بووستر عند ما مثل بين يديهِ الصبيان يشكرانهِ على صنيعهِ بعد ان كان الاحمرار القليل الذي نتج عن انعكاس نور الشمس ووهج الحياة قد زال تماماً

﴿ انتشارهم ﴾ ليس من ولاية في الولايات المتحدة ولا من مدينة يزيد عدد سكانها على خمسة آلاف نفس الاَّ وفيها سوري او اكثر . تحققت ذلك بنفسي وقتما كنت اجول في مدن الداخلية فكنت اذا انتهيت الى بلدة افتح كتاب التلفون والقي على صفحاتهِ نظري فيستوقفني دائماً في اعمدتهِ اسم او اسماء سورية مدرجة في الغالب تحت عنوان Grocers بقالة وعطارون

والعالق في اذهان الاميركيين عموماً وسوريي سوريا ان المهاجرين السوريين

---

(٧) لزوم معرفة القراءة والكتابة هو قانون جديد اجازه مجلس الامة والشيوخ منذ سنتين برغم معارضة الرئيس ولسن (٨) هذا القانون وضعته الحكومة لحماية العمال وبموجبه لا يجوز لمستخدم في الولايات المتحدة ان يقاول اجنبياً ويستقدمه للولايات بقصد استخدامه

(٩) مجلد ٢ ص ٢٩٦ — ٢٩٩ George F. Hoar. "Autobiography of Seventy Years"

يقيمون في حيّ واحد من احياء المدينة التي ينزلونها حيث يسهل عليهم المحافظة على تقاليدهم ومصطلحاتهم ويتعذّر على الوطنيين التأثير عليهم وتمثيلهم . على ان درس الاماكن التي يسكنونها لا يثبت صحة ذلك . نعم ان في غرباء كل بلاد ميلاً غريزياً الى التجمهر في حيّ واحد يقطنونهُ انما ذلك لا يصحّ على سوريي الولايات بقدر ما يصحّ على غيرهم من الاجانب . والمدن الوحيدة التي يجوز ان يقال انَّ فيها للسوريين مستعمرات خاصة بهم انما هي نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا ولورنس وفال رڤر وبتسبرج وغربي نهر المسسبيّ لسنت لويس فقط

مستعمرة نيويورك في وشنطن ستريت هي ام المستعمرات السورية واهمها . عن طريقها يدخل معظم السوريين الى الولايات واليها يعود الكثيرون منهم للاتجار بعد ان يكونوا قد « توفقوا » في الداخلية . الكتبة الاميركان يسمونها « سوريا الصغيرة » حيث تجد ما تجدهُ في البلاد السورية من مأكل ومشرب وعوائد مصغرة بكل امانة وضبط . والحقيقة انها سورية القديمة وقد خطت الى عتبة العالم الجديد فحارت في امرها وارتابت. فمنزلتها بين السوريين ليست بشيء من منزلة « سسليا الصغيرة » Little Sicily بين الايطاليين او « الغطو » Ghetto بين اليهود الروسيين « او البلدة الصينية » China-twon بين الصينيين. وموقعها بين نهر الهدسن من جهة وبرودواي — اطول شارع في الدنيا — وول Wall ستريت — اغنى شارع — من جهة اخرى وفي ظلال البنايات الناطحات السحاب Skyscrapers سيقضى عليها في القريب العاجل بالاضمحلال

اما المدن التي يكثر فيها عدد المهاجرين من السوريين فهي كما يأتي :

اسم المدينة	عدد السوريين	اسم المدينة	عدد السوريين
نيويورك	١٨٠٠٠	فيلادلفيا	٢٠٠٠
بوسطن	٨٠٠٠	ووستر ماس	١٠٠٠
ديترويت	٧٠٠٠	فال رڤرماس	١٠٠٠
بتسبرغ	٥٠٠٠	سياتل	١٠٠٠
سنت لويس	٤٠٠٠	شيكاغو	١٠٠٠
لورنس	٣٠٠٠	اكرن اوهايو	١٠٠٠
كليڤلند	٣٠٠٠	لوس انجليس	١٠٠٠

والارقام مبنية على احصاءات جماعة من السوريين المتنورين في كل بلدة مذكورة اعلاه عرضت عليهم اسئلة خطية عن عدد الجالية المقيمين بينها وحالتها الاقتصادية والادبية والاجتماعية

اما الولايات التي يكثر فيها عددهم فهي :

نيويورك وماستشوستس ومسوري والينويز وكنتيكت ومشغن واوهايو وبنسلفانيا ونيوجرزي وتكساس ووست فرجنيا وكليفورنيا . ويظهر من تقارير لجنة المهاجرة (١٠) التي عينها الرئيس تافت لدرس المسألة درساً مدققاً ان ال٥٦٩٠٩ سوريين الذين دخلوا الولايات بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩١٠ لدى استجوابهم في « الجزيرة » عن الولاية التي يقصدون التوجه اليها ذكروا كل واحدة من الثماني والاربعين ولاية ومقاطعة كولمبيا District of Columbia وزاد بعضهم انهُ كان متوجهاً لالسكا وبورتوريكو وجزائر هواوي التابعة للولايات المتحدة . ولقد كان نصيب ولاية نيويورك منهم ١٨٣٧٠ وهو اوفر من نصيب كل ولاية اخرى وولاية دلوار خمسة اشخاص وهو العدد الاقل بين كل الولايات

لعدم احتشاد السوريين في مستعمرات قائمة بهم اسباب سيكولوجية واسباب اقتصادية فالسوري قلما يلتحم مع رفيقهِ السوري ويصعب عليهِ الاشتراك معهُ في العمل . فاني عثرت مرّة في مدينة زينيا بولاية اوهايو على عائلة سورية اقامت في تلك البلدة ثلاث عشرة سنة دون ان تجذب اليها عائلة سورية اخرى . وفي لافايت انديانا .Lafayette, Ind قابلت سوريا اقام في تلك المدينة منذ عام ١٨٩٠ ولما سألتهُ عما اذا كان في البلدة من سوري آخر اجاب بالنفي وعقب على ذلك بقولهِ « لا لا . والحمد لله »

هذا ومن طبيعة العمل الذي يباشرهُ في الغالب السوري في الولايات — وهو مبيع الخروج والبضائع والملبوسات المطرّزة — ان يقرّبهُ الى العائلات الاميركية حيث يسهل تصريف بضاعتهِ ويبعدهُ عن ارفاقهِ الذين لا هو يعتاش منهم ولاهم منهُ يعتاشون

﴿ تاريخ المهاجرة ﴾ بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧٩ اكتشف ابناء سوريا

(١٠) مجلد ا ص ١٠٦ — ١٠٩ "Reports of the Immigration Commission"

اميركا واخذوا بالنزوح اليها . ولا ريب ان افراداً منهم زاروها قبيل ذلك وبينهم رهبان امـوها لجمع الصدقات . ومن المهاجرين الاولين انطون البشعلاني من صاليما لبنان الذي رست بهِ الباخرة في بوسطن عام ١٨٥٤ وتوفي في نيويورك عام ١٨٥٦ (١١)

واول عائلة سورية دخلت ارض كولمبس هي عائلة يوسف عربيلي الدمشقية . وكان تاريخ وصولها الى الولايات عام ١٨٧٨ . ثم اخذت الحركة بالازدياد . وكان مصدرها بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨٩ بالاكثر مدينة زحلة الى ان اقيم معرض شيكاغو عام ١٨٩٣ فكأنَّ بوقاً عامئذٍ نفخ في اعالي لبنان وسهول سوريا وفلسطين قائلاً « هبوا الى عالم الذهب » حتى انهُ لم يبق من بلدة معتبرة شرقي المسيحي لم يستفتحها المهاجرون السوريون . ومن المتعارف بينهم ان روَّاد المهاجرة كانوا لبنانيين وان الذي تألبوا على الحوض كانوا بالاكثر فلسطينين من القدس ورام الله ذهبوا بمصنوعاتهم الخشبية وسبحاتهم وصلبانهم وايقوناتهم.وهكذا بقي سيل المهاجرة يتعاظم الى ان اقيم عام ١٩٠٦ معرض سنت لويس فتفرَّق ابناء سوريا في الولايات الغربية وانتشروا حتى كليفورنيا على الشاطىء الباسيفيكي . ولم يبق من مزرعة او قرية في سوريا ولبنان دون ممثل لها في ارض كولمبيا

تعليل المهاجرة وبيان اسبابها ومميزاتها

ما الذي اقتلع نحو مئتي الف رجل وامرأة من تربة آبائهم واجدادهم في الديار السورية ونقلهم سبعة آلاف ميل فوق البحار مع ما في ذلك من المصاعب والاخطار وذراهم على سطح بلاد غريبة بلغتها وقوميتها وآدابها وبعثرهم في ولاياتها ومدنها وقراها على مساحة ثلاثة آلاف ميل من اليابسة ؟ ما هي العوامل التي جعلت جيشاً هذا عددهُ يترك المعلوم ويقصد المجهول ويغادر وطناً الفهُ واهلاً يعطفون عليهِ وقوماً يفهمهم ويفهمونهُ ؟ قوة الاستمرار تقضي على المرء بالتربص حيث هو والتشبث بالعوائد والطرق المألوفة والتردد عن مواجهة الغريب المحجوب اذ ان كل مألوف مأنوس وكلّ مجهول مستوحشٌ مرهوب . فالتخلف حالة طبيعية

(١١) ولقد اثبتنا سيرة هذا الشاب الذكي الذي حاز اعجاب الاميركيين واعتبارهم في رسالة مطبوعة بنيويورك عنوانها « انطونيوس البشعلاني : اول مهاجر سوري الى العالم الجديد »

والهجرة نتيجة لا تحصل الاَّ بتغلب عوامل قوية على العوامل الطبيعية التي من شأنها ان تقعد الانسان وتحملهُ على التريث

﴿ العامل الاقتصادي ﴾ العامل الرئيسي الذي حدا بالسوريين على الجلاء عن بلادهم واستيطان الولايات انما هو العامل الاقتصادي . فسوريا واخصها لبنان تربتها في الاكثر فقيرة ومعادنها قليلة وصناعتها وزراعتها لم تزالا على الفطرة فمتى اجتمعت هذه الاحوال في بلاد قومها من ذوي الانتاج الكثير وحلَّ بالبلاد قحط او محل في المواسم او حادث آخر غير اعتيادي لم يبق للفئة الزائدة عن سعة البلاد سوى الارتحال

جغرافية البلاد السورية يتخللها سلسلتان من الجبال العالية تؤذن بقسمتها الى شقق اربع متوازية الشقة الاولى هي الساحل المنبسط على شاطىء البحر ويختلف عرضهُ من بضع اقدام في اسفل لبنان الى بضعة اميال في فلسطين . والثانية مرتفع عالٍ يكون لبنان الغربي عظمة ظهرهِ ويرتفع الى علو عشرة آلاف قدم . والثالثة وادي العاصي فالبقاع فالاردن وفي اسفلهِ البحر الميت اوطأ بحيرة على سطح الارض انخفاضهُ ١٣٠٠ قدم . والرابعة مرتفع ثانٍ قوامهُ لبنان الشرقي واعلى قممهِ ٩٠٥٠ قدماً فوق سطح البحر . سهل فجبل فوادٍ فجبل تلك هي الارض السورية

بلاد هذا شأنها تكون المواصلات فيها ووسائل النقل قليلة متعذّرة . فشقق سوريا لم ترتبط ابداً بعضها ببعض ارتباطاً محكماً . اما عدم الاتصال الجغرافي فمقدّمة لعدم الاتصال العقلي والاجتماعي ومن نتائجهِ الوقوف في سبيل التجارة والاخذ والعطاء والحيلولة دون تولُّد الشعور المشترك والعقلية الاجتماعية التي لا بد منها لانماء روح الوطنية والقومية . فكما قسم سطح البلاد الى اجزاء لا واصل بينها كذلك قسم ساكنو البلاد من حيث الاخلاق والمبادىء والآراء الى جماعات لا وحدة بينها ولا اشتراك كلٌّ منها مستقلة بعملها تنتج ما تحتاج اليهِ باقل ما يمكن من المعاملة مع الفئة المجاورة . ومما يدل على صعوبة الاتصال كون اهل لبنان لم يزالوا للآن يتغنون بهذا القول « زوجك يا مليحه راح للشام وحده »

(٢)

﴿ ترعة السويس والحرير ﴾ الحلقة الاولى في سلسلة الحوادث التاريخية التي نتجت عنها الحركة السورية الحديثة الى اميركا هي فتح ترعة السويس سنة ١٨٦٩ . وكانت الحرب الاهلية المعروفة « بحركة الستين » قد ألجأت قبل ذلك عدداً من السوريين ان يهاجروا الى مصر وكانت تلك الوثبة الاولى لبعضهم نحو العالم الجديد ولكن نتائج « الحركة » من حيث المهاجرة لم تكن مستمرة

بفتح ترعة السويس تأخرت تجارة سوريا البحرية واحكمت اسواق اوربا عرى الاتصال مع الشرق الاقصى فاخذ الحرير السوري وهو من اهم صادرات البلاد يشعر بمنافسة الحرير الياباني والصيني في اسواق ليون وبدأت اسعاره تهبط. وبتوالي الاعوام ازداد الضيق على الفلاح في سوريا. وحاول تجار الحرير السوري استفتاح سوق جديدة لحريرهم في اميركا ولكن على غير جدوى بدليل ما جاء في تقارير القناصل عن هذه المدة . ومنهم القنصل الاميركي العام بسنغر Bissinger في بيروت الذي رفع الى حكومتهِ تقريراً عام ١٨٨٩ جاء فيهِ ان موسم الفيالج (الشرانق) لتلك السنة لم يزد على ٦٢٦ ٦٩٧ ٥ ليبرا وفيهِ ٢٥ في المئة نقص عن الموسم الاعتيادي . وعقَّب على ذلك بقولهِ « ان عدداً وافراً من التجار المعتبرين راجعوني مراراً في شأن تصدير حريرهم الى الولايات المتحدة رأساً وهم راغبون في ذلك رغبة شديدة كما بينت مراراً في تقاريري السابقة » . ويظهر ان الحالة بقيت على سوءها لاننا نرى في تقرير القنصل الاميركي دويل Doyle لسنة ١٨٩٧ ما نصهُ : لم تزل تجارة الحرير في يد اصحاب المعامل الافرنسية وهؤلاء يدفعون ثمناً لا ربح من ورائهِ للمزارع »

ومما زاد في شقاء الفلاح ان داء الرمد (الفيلوكسره) اخذ حوالي سنة ١٨٩٠ يتفشى في الكروم ويفتك بنتاجها . فوقف الفلاح تجاه هذا العدو وقفة اعزل محروم من المعرفة الفنية العلمية لمحاربتهِ . ولمَّا كانت موجة المهاجرة قد بلغت اشدها في تلك الاثناء لم يبق لدينا من شك بوجود علاقة سببية بينها وبين محل مواسم الحرير والكروم

﴿ العامل السياسي ﴾ من طالع ما يكتبهُ السوريون الاميركيون عن اسباب مهاجرتهم يُخيَّل اليهِ ان مرجعها بالاكثر ظلم الحكومة التركية وطلب الحرية والسلام تحت سماء يعيش المرء فيها حرًّا شريفاً مساوياً لكل احد آخر لا تعيقهُ عوائق سياسية عن التقدم ولا تعرقل مساعيهُ عراقيل اجتماعية عن الترقي. فجرائدهم كانت برمتها ناقمة على الحكومة التركية ورب يوم كان يجتمع فيهِ في مدينة نيويورك وحدها لا اقل من عشرين شخصاً منهم محكوم عليهم في الاستانة بالاعدام. وقد سألت كثيرين من السوريين عن اسباب مهاجرتهم فاجابوا بما مفادهُ ان العامل السياسي في اعتبارهم هو اهم العوامل. واليك انموذجاً منها وهو جواب طبيب «ليس من ينكر انّ حب الحرية هو الذي حمل السوريين على هجرة بلادهم». ومما يستحق الذكر ان صورة اول عائلة سورية دخلت الولايات وهي عائلة عربيلي رُسمت وفي يد ربها رقعة عليها هذه الآية «ها انا والاولاد سعدنا بالحرية»

ومما لهُ علاقة بالشكل السياسي امر الخدمة العسكرية فانها اوجدت عذراً لعدد وافر من المسلمين للمهاجرة وبعد عام ١٩٠٩ للمسلمين والمسيحيين. وهاك تعريب تلغراف نشرتهُ جريدة الصن Sun النيويركية بتاريخ ٩ آذار (مارس) سنة ١٩١٣ من مراسلها في حيفا حيث قال «ما من باخرة في هذه الايام تترك الشواطىء السورية الى اميركا الشمالية او الجنوبية الاَّ وهي مشحونة بالمهاجرين واكثرهم مسيحيون فارون من الخدمة العسكرية»

﴿ العامل الديني ﴾ كون الاغلبية العظمى من المهاجرين السوريين مسيحيين برغم كون المسلمين في البلاد يزيدون على المسيحيين دليل كاف على ان للدين علاقة بالمهاجرة. بيد ان المسلمين اقل طموحاً الى السفر واشد تعلقاً بالبلاد. ويحل معظم الكتبة من المهاجرين هذا العامل المحل الثاني بعد العامل السياسي ويذهبون الى ان التضييق على بعضهم بداعي معتقدهم تضييقاً بلغ في بعض الاحيان درجة الاضطهاد هو الذي حمل الكثيرين من مسيحيي سوريا على المهاجرة. على اننا من القائلين بتقديم العامل الاقتصادي يتلوه السياسي فالديني تلك هي العوامل الرئيسية الثلاثة

﴿ تأثير القلم ﴾ ولا يخفى ان هنالك عوامل اخرى ثانوية مساعدة لا بد من اعتبارها واولها الارشادات والمشوّقات التي ما فتىء السابقون من المهاجرين يقدمونها الى التابعين إما كتابة او مشافهة لدى اوبتهم لزيارة البلاد. فانتشرت

في طول البلاد وعرضها اقاصيص خرافية عن ثروة العالم الجديد وسهولة تحصيلها وتبادر الى ذهن العامة عندئذٍ ان ارض اميركا مفروشة بالذهب ولا اكثر للراغب من ان يفتح يديهِ ويقحف ما استطاع . ولم يقتصر المهاجرون الاولون على الاطناب بوفرة موارد البلاد المادية بل تطرّقوا الى الثناء على معالم العمران فيها والاعجاب بمدنيتها وروحها والمبالغة بكثرة فرص التقدم فيها على ضد ما فعلهُ مهاجرو الروس مثلاً الذين عادوا الى بلادهم وكلهم السنة تقبح الاميركان وتستهجن مؤسساتهم وطرق تصرفهم الامر الذي لم يغرب عن الحاظ اللجنة الاميركية التي ارسلها الرئيس ولسن عام ١٩١٩ الى سوريا لاستطلاع رغبة الاهلين من حيث الانتداب ولقد نوّهت اللجنة بذلك في عرض تقريرها

اما المهاجرون الذين لم يعودوا الى البلاد فانهم بعثوا بدراهمهم اليها وانفقوها بالاكثر على بناء المنازل الفخمة المسقوفة بالقرميد فكأنهم بذلك كتبوا على حائط كل بناء اعلاناً صامتاً يذيع اسم اميركا بين الملاءِ ويترنم بمجد ثروتها . واليك خلاصة ما لاحظهُ مراسل جريدة اميركية رافق لجنة المهاجرة لدرس الاحوال في تركيا سنة ١٩٠٧ قال : « معدل ما يرسلهُ المهاجر السوري الى بلادهِ يزيد عما يرسلهُ كل مهاجر آخر . وانك لترى بين بيروت ودمشق بيوتاً مشيدة بمال اميركا اكثر مما تراهُ في فسحة من الارض في ايطاليا حجمها خمسة اضعاف هذه . ومما يدل على قوة تأثير هذا العامل ان خمسة وتسعين في المئة من الذين دخلوا الولايات في سنتي ١٩٠٨ و١٩٠٩ صرّحوا لدى استجوابهم حين دخولهم انهم آتون للالتحاق باقارب لهم او اصدقاء (١)

﴿المسلفون وعملاء البواخر﴾ بعد ان ابتدأت حركة المهاجرة واخذت تتعاظم نشأت فئة من المتموّلين لها مصلحة شخصية في استمرار الحركة وانتشارها وهي فئة مسلفي الدراهم الذين اخذوا يقرضون طالب السفر اجرة سفرهِ (الناولون) ويتقاضونهُ رباً ووكلاء البواخر الذين جعلوا دأبهم تحريض الاهلين على السفر واصبح في العقد الاول من القرن الحاضر منظر هؤلاء المدينين والوكلاء وهم يجولون من قرية الى اخرى في لبنان على ظهور الحمير يعرون الضياع من البقية الباقية من بنيها منظراً مألوفاً. على ان هذا العامل كان من العوامل المهيجة للمهاجرة

(١) "Report of the Immigration Commission" مجلد ١٢ ص ٥٩

والمسهلة لها لا من العوامل التي اوجدتها

﴿ تأثير المبشرين ﴾ ويجب ان لا يغرب عن بالنا ان للمبشرين الانكليز والاميركيين والسياح المتكلمين بالانكليزية يداً في تشويق الاهلين الى الاطلاع على المدنية الغربية وبالتالي الى السفر بقصد التمتع ببركاتها ومحاسنها وذلك بنشرهم معرفة اللغة الانكليزية وتلقينهم الناشئة مبادىء الجغرافية والتاريخ واسرار ترقي الامم الانكلوسكسونية . فهم وان لم يكونوا من مسببي الحركة الا انهم بلا مراء كانوا عاملاً قوياً في تحويل وجهتها نحو الشواطىء الاميركية الشمالية وانما فعلوا ذلك عن غير عمد منهم لاننا نعلم ان سياسة المبشرين كانت دائماً تثبيط عزائم مريدي السفر ومحاولة اقناعهم بالتربص حيث هم

ولدى التحقيق يتبين ان عدداً ليس بالقليل من الشبان في الولايات المتحدة هم من الذين درسوا في المدارس الاميركية والانكليزية في سوريا وفلسطين . واليك نبذة من تصريح وجيه سوري في نيويورك لمحرر مجلة الاندبندنت(٢) يمكن اتخاذهُ انموذجاً من اختبار كثيرين غيره قال : « وكان على حائط غرفة معلمي (في المدرسة الاميركية في لبنان) صور شتى تمثل مناظر مدن وشوارع اميركية وكنت اسمع منهُ عن التلفون والتلغراف والسكك الحديدية . فشاقني الوصف الى الوقوف على حقيقتها وللحال تجلى لي ان في غير سوريا بلاداً عظيمة صالحة للسكنى وانهُ ربما كان من عمل اعملهُ فيها افضل من صيرورتي راهباً »

والذي جعل انطون البشعلاني يطوّح بنفسهِ الى ما وراء البحار الى العالم الجديد بعد وقوع النفرة بينهُ وبين والدتهِ انما هو كونهُ كان قد سبق فتعرف ببعض السياح الذين يؤمون سنوياً الاراضي المقدسة واحكم معهم عرى الصداقة

وبرغم هذه الوسائل الاصطناعية لتكثير المهاجرين يجب ان لا ننسى انهُ قلّ من السوريين في اميركا من عمد الى الذرائع التي عمد اليها الايطاليان اولاً لجلب الفعلة للسكك الحديدية واليونان بعدهم لصبغ الاحذية وبيع الازهار كأن يقدّم الواحد ناولونا لطالب السفر ثم يستخدمهُ كرقيق مدة اقامتهِ في اميركا يطعمهُ ويكسوهُ ولا يعطيهِ اجرة مما يعرف بالنظام البادروني (Padrone S. stem) وهو محظور بموجب شرائع الولايات المتحدة

(٢) Independent عدد ٣٠ نيسان سنة ١٩٠٣

﴿ مجمل العوامل ﴾ وعلى الجملة فالاسباب التي قرّرت امر مهاجرة السوريين الى الولايات هي على نوعين عوامل خارجية وبواعث نفسية . فالبواعث النفسية الوجدانية يمكن حصرها بقولنا هي رغبة المرء في تحسين حالتهِ ولا فرق بين ان يكون التحسين ماديًّا او ادبيًّا حقيقيًّا او موهوماً . والعوامل الخارجية إما دافعة مركزها في البلاد المهجور منها او جاذبة ومركزها في البلاد المهاجر اليها كتشويقات السابقين من المهاجرين والمبشرين والسياح . اما العوامل الدافعة فرئيسية وهي اقتصادية وسياسية ودينية او ثانوية وقوامها المسلفون وعملاء البواخر كما يتبين من الجدول ادناه

- علل المهاجرة
  - عوامل خارجية
    - دافعة
      - رئيسية
        - اقتصادية
        - سياسية
        - دينية
      - ثانوية
        - المسلفون
        - وكلاء البواخر
    - جاذبة
      - رسائل المهاجرين
      - المبشرون
      - السياح
  - بواعث نفسية : الرغبة في تغيير الحال الى ما هو احسن

﴿ مميزاتها ﴾ تختلف الهجرة السورية عن غيرها من الهجرات الى الولايات في انها جزء من كلٍّ لا كلٌّ قائم بنفسهِ . فالصيدو نيون الاقدمون (الفينيقيون) هم اول سوريين هاجروا وكانت مستعمرات السوريين التجارية في القرون الوسطى ترصع خارطة اوربا(٣) وما زالوا على ذلك من التجوال والتنقل الى يومنا الحاضر .

(٣) راجع ما كتبناه عن مهاجرة السوريين واستعمارهم في القرون الوسطى في عددي آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) من مقتطف سنة ١٩١٧ . وبعنوان « تجار جنوى السوريين في القرن الثاني عشر » في عددي آب وايلول من المجلة التجارية السورية الاميركية لسنة ١٩٢٠

ومن مميزاتها انها ليست محصورة في كونها هجرة اقتصادية كما هي الحال في معظم الهجرات بل عليها صبغة دينية سياسية وبذلك تجانس الهجرة اليهودية من روسيا واوربا الوسطى الى اميركا

ومن خصائصها انها ليست مقتصرة على الرجال بل هي هجرة عامة تتناول النساء والاولاد كما يتضح من مراجعة تقارير لجنة المهاجرة(٤) وفيها ان ٦٣٥ ٣٨ من الـ ٩٠٩ ٥٦ من السوريين الذين دخلوا الولايات من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٠ اي ٦٧٫٩ في المئة كانوا ذكوراً و ٢٧٤ ١٨ اي ٣٢٫١ في المئة اناثاً. بينا نرى من المهاجرين الارمن في المدة نفسها ٢٣٫٥ في المئة اناثاً. ومن البلغار والسرب ٤٫٣ في المئة. ومن اليونان ٤٫٩ في المئة ومن الاسبان ١٧٫٢ في المئة والمعدل من كل الامم التي دخلت الولايات ٣٠٫٥ في المئة اناثاً. ولولا ان الالف درزي والثمانية آلاف مسلم من المهاجرين السوريين لم يرافقهم سوى عدد قليل من النساء يعدّ على الاصابع لكان معدل الاناث من السوريين يزيد كثيراً عما بلغ من الزيادة فوق معدّل المجموع

ومن هذا يتضح ان المهاجرة السورية هي مهاجرة عائلية مقصود بها الاستيطان الدائم في الولايات المتحدة بخلاف المشهور عنها بين الاميركيين والسوريين انفسهم. نعم انها في اول اطوارها كانت مقتصرة على الشبان الذين رحلوا ولا همَّ لهم سوى ادخار المال والرجوع بهِ الى الوطن القديم ولكنَّ هذه الفكرة زالت بتوالي الاعوام لاسيما بعد ان ادرك السوري المهاجر ان للمرأة في الحرفة التي يتعاطاها في الغالب وهي البيع في البيوت قيمة اقتصادية كبيرة لانها يهون عليها طرق الابواب ودخول المنازل وارضاء النساء. وما لبث ان اكتشف هذه الحقيقة حتى اخذ يطلب زوجتهُ او والدتهُ او شقيقتهُ وبذلك انقطع امل الرجعة على كثيرين من الرجال

ولا يخفى ما في مهاجرة المرأة من حل كثير من المشاكل الجنسية التي كانت تعترض المهاجرين الاولين لاسيما وان السوريين ابداً يؤثرون الزواج ببنات جنسهم. ولقد ذكر لي في الصيف الفائت صديق ركب باخرة يونانية من اليونان الى نيويورك ان معظم الركاب معهُ كانوا بنات يونانيات ذاهبات عن يد عميل ليتزوجن بفتيان من اليونان المقيمين في الولايات والذين لم يرين منهم قبلاً سوى صورهم الفوتغرافية

(٤) (Reports of Immigration Commision) مجلد ١ صفحة ٩٧

(٣)

حالتهم الاقتصادية

﴿ تجارة المصنوعات اليدوية ﴾ السوري تاجر متى استطاع واينما استطاع وعامل ان اضطرتهُ الاحوال . فطرق معاشهِ في الولايات المتحدة تدور بالاكثر على محور واحد هو التجارة ومحور تجارتهِ بالاكثر المطرَّزات النفيسة وانواع الخرج والاشغال اليدوية والمستحدثات والملبوسات النسائية المصنوعة باليد

ولقد تدرَّج اكثر التجار في نيويورك من مبادىء وضيعة كبيع « الخردوات» في حقائب يحملونها بايديهم ويجولون فيها بين البيوت الى فتح دكاكين صغيرة في شارع وشنطن الى استئجار مكاتب وغرف لعرض بضائعهم في بنايات شاهقة هي قصور اكثر منها بنايات في الافنيو الخامس اجمل واغنى سوق للمبيعات في اميركا حيث هم الآن اكبر تجار في الاشغال اليدوية النفيسة ولاسيما ما يسمونهُ المديرا والفلبين ويكادون يحتكرون هذه الاصناف مع صنف الكيمونو[١]

وامامي الآن وانا اكتب هذه السطور عدد من اعداد جريدة السائح الاخيرة وفيهِ ٣٦ اعلاناً نشرها السوريون الاميركيون منها ١٢ اعلانها عن المستحدثات والمطرَّزات اليدوية. واليك مثالاً من هذه الاعلانات يدلك على تعدُّد الاصناف التي يتعاطونها من هذا القبيل ننقلهُ بحروفهِ :

« نعلن لزبائننا الكرام اننا افتتحنا محلاً في مانيلا بجزائر الفيلبين للمطرزات الاندروير (Underwear) النسائيـة من قمصان نوم وانقلب شميز (envelopechemise) وكورست كفر (Corset Cover) كذلك ثياب ولادية من انخف الرسمات وابدعها. ايضاً افتتحنا معملاً في يوكوهاما باليابان لصنع البضائع اليابانية من درون ورك (drawn work) ورنصنص (renaissance) واغطيـة وسكارفات (Scarfs) واغطية فرش . وعندنا دائماً كية كبيرة من بضائع

(١) الكيمونو جلباب من حرير دقيق تتشح به المرأة في منزلها قبل ان ترتدي ثيابها اللائقة بمقابلة الضيوف وهو ملبوس ياباني الاصل ادخله اليابانيون الولايات ومنهم اتصل الى ايدي السوريين

الكط ورك (Cut work) مع فيله (Filet) وموزايك (mosaic) ومديرا وكلوني وڤنيس وارد معاملنا باسعار متهاودة »

وبين الاعلانات المدرجة في هذا العدد اعلان يشير فيهِ صاحبهُ الى معاملهِ في فنشال بمديرا وڤنيس بايطاليا ولا بوي بفرنسا ويوكوهاما باليابان وشنغاي بالصين وآخر يزيد على كل هذه البلدان بلاد الفلبين

ومن اطلع على ما تنشرهُ المجلة التجارية السورية الاميركية في وصف التجارة السورية في المهاجر الاميركية وما تقلب من ادوار التطوُّر على البيوت السورية التجارية الممتازة بنجاحها ايقن ان السوري الاميركي يسجل في تاريخ المهاجرة والاستعمار صفحة لم يخط احد من السوريين ابهى وامجد منها وربما لم يسبقهُ قوم آخر سوى ابناء عمهِ الشعب اليهودي . ولدى التعمق في سير التجار المتفوّقين الذين اتت تلك المجلة على ذكرهم يتبين انهُ يمكن تحليلها كلها وارجاعها الى امر واحد وهو ان الشاب كان يصل الى نيويورك فقيراً معدماً فيبيع « بالكشة » او « الجزدان » ثم يتعلم الانكليزية ويعدى بجرثومة الحياة الاميركية فيستخدم في محل تجاري او يفتح حانوتاً صغيراً في شارع ضيق ثم يتوسع في العمل وينشىء شركة تجارية في شارع كبير وينمو نمواً تجارياً مطرداً فيفوز فوزاً باهراً بفضل اجتهادهِ وامانتهِ . تلك هي الدرجات في سلم ترقي كل واحد تقريباً من المهاجرين الممتازين

﴿ معاملهم ﴾ للسوريين معامل يصطنعون فيها كل اصناف الكيمونو التي يتعاطون بيعها . ولهم منها في مدينة نيويورك وما جاورها خمسة وثلاثون معملا وهم ايضاً يعملون الجانب الاكبر من المطرّزات التي يتاجرون بها لاسيما ما كان منها من نوع المديرا والفلبين. وكان في العام الماضي احد المحالّ التجارية السورية يرسم خارطة العالم في اعلانهِ ليبين مواقع معاملهِ الجغرافية. ويظهر من تقرير رفعهُ قنصل اميركا في مديرا بتاريخ ٢٩ ت٢ سنة ١٩٠٩ ان صناعة الخرج في تلك الجزيرة اصبحت في يد السوريين الاميركيين بعد ان كانت قبل الحرب في يد الالمان . ثم قال ان في مديرا خمسة وثلاثين معملاً واربعة عشر منها اصبح اصحابها سوريين

﴿ البائع الدوّار ﴾ هذا هو حلقة الاتصال بين التاجر المقيم في مخزنهِ والمرأة التي تبتاع البضائع في بيتها . وهو الاس المتين المشيّد عليهِ بناء التجارة

السورية بامرها. ولهُ الفضل الاعظم على نشوء التجارة السورية وتقدُّمها . ولطالما نظر اليهِ السوريون والاميركيون نظر الازدراء والاحتقار وربما كان لهم فيما مضى بعض العذر عند ما كان البائع يقف امام الشاري وهو جاهل لغتهُ وعوائدهُ فيظهر بمظهر المستعطي . اما الآن فقد اصبح بائع الكشة كمعتمد او ممثل للمحال التجارية يحمل بضائع خفيفة هي بالاكثر من أنوع المساطر (الميّنات) ولا يغشى المنازل على غير هدى بل لهُ زبائن يعرفهم ويعرفونهُ ولا يستنكفون من حسبانهِ صديقاً لهم . ومن هذا القبيل الصورة التي ظهرت حديثاً في الجرائد السورية الاميركية وفيها رسم الرئيس هاردنغ والى جانبهِ رجل سوري زائر فان بعضهم اكّد لي ان السوري بائع كان يتردد على بيت هاردنغ لما كان عضواً في مجلس الشيوخ

﴿ السمّانة او البقّالة ﴾ يقيمون غالباً في مدن الداخلية ويتعاطون مبيع الخضر والاثمار ولوازم الطبخ والاكل وفي بعض الاحيان المرطبات والحلويات وهم في ذلك ينافسون الايطاليان واليونان . وفي مدينة فلنت بولاية مشيغن (Flint, Mich.) تاجر درزي له خمسة عشر مخزناً ومنزلتهُ الثالثة بين بقالة الولاية

ومن المدن التي يكثر منها البقّالة السوريون مدينة ديترويت ويقال انها تحوي على ٣٠٠ تاجر منهم

وربما لم يكن بين العالم الجديد مدينة تفوق حلوياتها مدينة فيلادلفيا . والغريب ان من اشهر معامل تلك المدينة معملاً صاحبهُ سوري لهُ نحو اثني عشر مخزناً للبيع بالتفاريق

﴿ المصدّرون ﴾ كان من نتائج الحرب العظمى ان انقطعت العلائق التجارية بين الجمهوريات الاميركية الجنوبية وبين البلدان الاوربية الغربية واخصها المانيا التي كانت تعتمد عليها تلك الجمهوريات في استيراد بضائعها . فحوّل تجار اميركا الجنوبية انظارهم نحو الولايات المتحدة ووجدوا في التجار السوريين المقيمين بينهم خير وسيط لتعريفهم بسوق الولايات المتحدة عن يد ابناء جنسهم فيها وبذلك تمت حلقة الاتصال بين السوق التجارية في اميركا الجنوبية والسوق التجارية في اميركا الشمالية . وللحال انشأ عدد من سوريي الولايات المتحدة مكاتب للعمولة وتصدير البضائع كان لهم من ورائها ارباح باهظة

ويقول العارفون ان ثروة السوريين في الولايات المتحدة تضاعفت في اثناء الحرب . ولا نبالغ اذا قلنا ان الجالية السورية النيويركية اصبحت اغنى الجاليات السورية في المهاجر . اما بعد الحرب فحدث اضطراب مالي وجمود صناعي تجاري في السوق الاميركية وهو ردُّ فعل للسعة العظيمة التي تمتعت بها الولايات المتحدة بما رافقها من الاسراف والاستهانة بقيم الاشياء ولا بد ان تستمر هذه الايام العصيبة سنة او اكثر حتى يستعيد العالم توازنهُ ويألف الحالة الجديدة الناشئة عن اضرار الحرب

﴿ العمال ﴾ قلَّ من السوريين من يستخدم في المعامل والمصانع الاَّ اضطراراً واكثر هؤلاء يشتغلون في معامل القطن والصوف في لورنس وفال رفر ولول ونيو بدفرد من اعمال ماستشوستس وفي معامل الاواني الفضية والنحاسية والساعات والاسلحة في وتربري وبردجبورت ونيوهافن من اعمال كونتيكت والحديد والفولاذ في بتسبرغ بنسلفانيا والسيارات (الاتومبيلات) في ديترويت (ميشغن) وكليفلند (اوهيو) والحرير في بطرسن وهبوكن من اعمال نيوجرزي. وفي زمن الحرب وضعت الحكومة يدها على اكثر هذه المعامل وحولتها الى مصانع اسلحة وذخائر ورفعت اجور العمال الى الخمسة ريالات فما فوق في النهار فازداد بذلك عدد الفعلة من السوريين عن الحالة الطبيعية

ويظهر ان العمال السوريين يتفوقون في الاشغال التي لا تستلزم اجساماً كبيرة من مثل غزل الحرير وحياكتهِ فانهم يتقاضون في هذه الصناعة اجوراً تزيد عن اجور غيرهم من العمال . ومما جاء في تقرير لجنة المهاجرة (٢) ان احد اصحاب معامل الحرير في نيوجرزي قال بوجود « غريزة الحياكة » في السوريين وهو يفضلهم كل من سواهم من الشعوب

ويقدر بعضهم ان ثمانين في المئة من سوريي وست هبوكن وبطرسن (نيوجرزي) حاكة حرير

اما عدد السوريين الذين يشتغلون في المقالع والحفريات والسكك التي تحت الارض فانهُ دون القليل . وربما كان السبب في ذلك تعوّدهم عيشة الخلاء والهواء

(٢) "Reports, Immigration Commission" مجلد ١٥ ص ٤٤٦

النقي في بلادهم بحيث يصعب عليهم العمل في جوف الارض . على ان افراداً منهم يشتغلون في مناجم الفحم وآبار البترول في ولايات وست ڤرجنيا وتكساس واكلاهوما . وهم على العموم يستنكفون من الاشغال الشاقة كبناء الجسور وتخطيط الطرق وتشييد البنايات الى غير ذلك من الحرف التي يقبل عليها الايطاليان الى ان يكادوا يحتكرونها . والسوري الوحيد الذي رأيتهُ وبيده معول كان عاملاً على خط حديدي لشركة طحن كبيرة في مدينة منيابوليس (ميناسوتا)

﴿ الزراعة ﴾ الاجانب عموماً والسوريون خصوصاً يأنفون من الاعمال الزراعية في الولايات . ولذلك اسباب بينة اهمها انفراد المزارع الاميركية ووحشتها وبعدها بعضها عن بعض وعن اماكن العبادة والحاجة الشديدة لمعرفة اللغة الانكليزية فيها والحاجة الى رأسمال في استئجارها او شرائها وتعذر وجود المآكل المألوفة فيها . وكثيراً ما أنحى الوطنيون باللائمة على الاجانب لاجتماعهم وازدحامهم في المدن التجارية والصناعية ولاعراضهم عن العمل في الاراضي الفسيحة المهملة الخالية من السكان ونسبوا لهم الجهل وقصر النظر. ولا نشك في ان بعض كتبتهم كانوا بذلك مدفوعين بعامل الحسد من نجاح الغرباء بينهم في التجارة والصناعة ومسابقتهم الشديدة للوطنيين

رغم ذلك وجدت بعد البحث ان عالم الزراعة ليس كلهُ خالياً من الايدي السورية العاملة ففي خط أونيدا نيويورك خمسة وعشرون في المئة من المزارعين سوريون . وفي نورث كارولينا عدد منهم يشتغل بزراعة القطن وفي ڤرجنيا بزراعة التبغ . ويكثر عدد الفلاحين السوريين في اواسط الولايات المتحدة حيث يزرعون الحبوب وفي غربيها حيث تكثر الخضر والبقول والفواكه .ولقد ذكرت مسز هوطن في سلسلة مقالات نشرتها في مجلة الصرڤاي (٣) ان في ولاية نورث كارولينا وحدها لا اقل من ثمانمئة مزرعة سورية .وفي نبراسكا وكنساس ومنتانا ووايومنغ ووشنطن من الولايات الغربية آلاف غيرها

﴿ حرف شتى ﴾ قلنا ان معظم السوريين الاميركيين يتعايشون من التجارة وبعضهم من الصناعة والزراعة والحال انهُ ليس من سبيل للمعاش لم تطأهُ ارجل

(٣) سنة ١٩١١ وسنة ١٩١٢ Mrs Houghton "The Survey"

السوريين ولا من باب للارتزاق لم تطرقهُ ايديهم ففيهم الصراف والمدين والمضارب ومنهم البوليس والجندي والبحري والاسكاف والحداد وسائق العربات وبينهم القس والمعلم والصحافي والمحامي والطبيب — الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حدّ او حصر . وعثرت مرة في نصف ليل من ليالي الشتاء القارسة في محطة القطار في البني على حارس ليلي من بيروت وفي ديبوك (ايوا) على دمشقي يدهن خشب القطارات

وممن امتاز بينهم في الفنون الجميلة موسيقي عُرف في طول البلاد وعرضها وحاز شهرة وطنية بادخالهِ الانغام العربية الى العالم الغربي . ومن منظوماتهِ انشودة « لاجلك يا اميركا » (For Thee, America) اختارها المجلس التهذيبي في نيويورك وغيرهِ من المجالس التهذيبية في البلاد وجعلوها الاغنية الرسمية لتلامذة المدارس العمومية . وفي العام الماضي ادهش فتى سوري لم يتجاوز العقد الثاني من سنيهِ موسيقيي نيويورك بتفننهِ وبراعتهِ على البيانو في حفلة اقامها في قاعة الموسيقى الكبرى للمدنية . ومنذ ثلاثة اعوام عرضت صور رسام سوري في متحف شهير على الافنيو الخامس من مدينة نيويورك واستوجبت اعجاب المصوّرين الفنيين من الاميركان

وفي اللائحة التالية بيان لانواع الحرف التي يحترفها الاعضاء العاملون في جمعية سورية واحدة في نيويورك ومنها يستدلّ على التنوّع المتباين في الاعمال التي يباشرها قومنا هنالك :

تجار	٦	مهندسون	٢	محامون	١
اطباء	٣	مسكة دفاتر	٢	مصدرو بضائع	١
اطباء اسنان	٣	معلمون	١	قسس	١
تلامذة	٢	صيادلة	١	ممثلو شركات الحياة	١

فمجموع عدد الحرف ١٢ ومجموع عدد الاشخاص ٢٤

﴿ مستوى المعيشة ﴾ السوري اينما كان ينفق على اكلهِ اكثر مما ينفق على فرش بيتهِ ولبسهِ . وكتاب الطبخ الذي سطَّر فيهِ عيسو اول وصفة لطبخ العدس لم يزل بين يدي السوري الى اليوم يرافقهُ اين حلّ وكيف توجَّه . فهو يهون

عليهِ التلبس بعوائد القوم الذين يساكنهم ومجاراتهم في كل شيء ما عدا الاكل . ومن مآكلهِ التي لم يزل محافظاً عليها منذ ايام سليمان الحكيم آكلة الكبيبة التي كان سليمان مولعاً بها على ما يظهر والاَّ فكيف خطر في بالهِ هذا التصور اذ قال

« ان دققت الاحمق في هاون بين السميذ بمدقٍّ لا تبرح عنهُ حماقتهُ »(٤)

ويهم السوري بالاجمال الظهور بمظهر لائق فهو من حيث اللبس لا يقلّ عمن يوازيهِ من سائر الامم في الطبقة الاجتماعية . اما فرش بيتهِ وترتيبهُ فليس عموماً على ما يجب ان يكون . وما يصرفهُ على المسليات والملاهي قليل لا يعتبر

وفي مدينة نيويورك العظمى لا اقل من اثني عشر مطعماً يجد فيها السوري ما يجد في اي مطعم كان من مطاعم سوريا ومصر

﴿ عدد المنتجين في العائلة ﴾ المسؤولية المالية هي في الدرجة الاولى ملقاة على عاتق الرجل الاَّ ان المرأة كثيراً ما تشاركهُ في حملها . وبذلك تختلف المرأة السورية المهاجرة عن اختها المتخلفة . واني اعرف بيوتاً تقوم النساء فيها باود العائلات وذلك باستخدامهن في معامل الخياطة والتطريز او في تعاطي البيع « بالجزدان » او بمسك الدفاتر والشغل على الكاتبة (typewriter) . ولا انسى امراة سورية عرضت عليَّ مرة شراء غطاء للمائدة مفروش على يدها حال نزولي من القطار المرتفع (الذي يسير فوق الاسواق) في ليلة مثلجة قارسة البرد من ليالي اسبوع عيد الميلاد وهي واقفة جامدة في اسفل درج المحطة بينا آلاف المارَّة كانوا يتراكضون الى بيوتهم وهم ملتفون بالاردية الصوفية الثقيلة

اما الاولاد السوريون فانهم في الغالب يواظبون على حضور مدارسهم وفي ساعات الفراغ يبيعون الجرائد في الشوارع او يباشرون اعمالاً اخرى في المخازن لا تقتضي استعداداً خصوصيًّا وعناء . ويظهر من تقرير(٥) وضعتهُ لجنة المهاجرة بعد درسها احوال اولاد المهاجرين والوطنيين دون السادسة عشرة في سبع مدن وهي نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وبوسطن وكليفلند وبفالو وملواكي ان ٢،٢ بالمئة من الاولاد السوريين في العمل و٣،٣ في البيت و٩٤،٥ في المدرسة بينما

(٤) امثال ٢٧ : ٢٢ (٥) مجلد ١ ص ٧٦٣ Reports

المعدل من المهاجرين غيرهم ومن الوطنيين ٧٫١ بالمئة في العمل و٨٫٦ في البيت و٨٤٫٣ في المدرسة

﴿ التوفير ﴾ مقدرة السوري على الاقتصاد والتوفير امر اجمع عليهِ كل من خالطهم واستوجب ثناء كل من درس احوالهم

ولكثير من المعاهد الاميركية كمجالس التهذيب وجمعيات الشبان والشابات المسيحية موظفون يطلق عليهم لقب مديري الاجتماعيات او كتبة التأمرك وظيفتهم مساعدة الاجانب على تحصيل اللغة الانكليزية ومبادىء المدنية الاميركية وطرق الحصول على رعويتها ومسائل تدبير المنزل الى غير ذلك مما يسهل على الغريب امر الاندماج في المجتمع الجديد . ولقد كثر عدد هؤلاء الموظفين في اثناء الحرب لما شعرت الامة الاميركية بضرورة اندماج كل الاجانب فيها حفظاً لسلامتها وكيانها. ولقد استجوبت كتابة كل من كان من هؤلاء يشتغل بين السوريين فكانت شهادة الجميع ان السوري عامل نشيط مقتصد موفر يحب المعيشة البيتية ولا يميل الى اللهو والاسراف . فنتائج ذلك ظاهرة في قلة عدد الذين يلجأُون منهم الى الجمعيات الخيرية لطلب المعونة .ففي القسم الشرقي من مدينة نيويورك حيث يعشش البؤس وتكثر الشرور فرع لجمعية الشبان المسيحيين مخصص للفقراء والمعدمين والسكيرين يترددون اليهِ للاكل والنوم وايجاد الاعمال .ولقد اكد لي سكرتيرهُ ان في تاريخ ذلك المعهد لم يدخلهُ رجل سوري . وبعد مخابرة المنشآت الخيرية التي انشأتها الحكومة وجمعيات الاحسان في ولاية نيويورك تبين لي انهُ لم يكن في ربيع العام الفائت من السوريين احد عالة عليها . وهذا تعريب فقرة من جواب جمعية الاحسان النيويوركية « يستدل من تقاريرنا اننا في السنة التي انتهت في ٣٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٧ كنا نعتني بتسعة رجال وثلاث عشرة امرأة من الارمن والسوريين . ونرجح ان اكثرهم كانوا ارمناً لا سوريين »

ومن خصائص السوري الاميركي انهُ لدى الحاجة يفضل الالتجاء الى بني جنسهِ على الالتجاء الى الغير لذلك تجد تقارير جمعيات الاحسان الاميركية خالية كلها تقريباً من اسمهِ

(٤)

احوالهم الاجتماعية

﴿مساكنهم﴾ تقدَّم معنا ان السوريين بطبيعة اعمالهم يؤثرون السكنى بين الاميركيين على الاقامة في مستعمرات خاصة بهم كما يفعل الكثيرون من المهاجرين. وبذلك يقتبسون من الوطنيين طرائق المعيشة الحديثة وامور تدبير المنزل ووسائط النظافة والترتيب بينما تكون المستعمرات الاجنبية في الغالب في الاحياء المظلمة القذرة الضيقة الخالية من الوسائل الصحية حيث الهواء النقي ضرب من الترف واشعة الشمس لا تدخل بدون اجازة. في مستعمرات كهذه يسميها الاميركيون (Slums) ويصعب على الشرقي تصوّرها لعدم وجود ما يماثلها في بلاده — يقيم الآلاف المؤلفة من الايطاليين واليهود والصينيين مزدحمين بمعزل عن الحياة المدنية فكانهم في العالم الجديد وليسوا منهُ وكان مستعمراتهم بقع مستنقعات راكدة ساكنة على شاطىء نهر المدنية الجارف

وجود هذه البقع في جسم البلاد هو من اهم المعضلات التي يعالجها المصلحون فيها وهو اعظم عثرة في سبيل «تأمرُك» ساكنيها واندماجهم مع الوطنيين

وليس عند السوريين ما يقابل شيئاً من ذلك على الاطلاق. فمستعمرتهم في وشنطن ستريت بنيويورك كادت تصبح الآن سوقاً تجارية لاحيًّا للاقامة. واحياؤهم في فيلادلفيا وسنسناتي وسنت لويس والبني مزدحمة قذرة ولكن مسز هوطن تقول (١) « ومع ذلك فان احقر بيت سوري في البني يفوق بنظافتهِ كل بيوت الايطاليان الذين يقيمون بينهم » وتضيف مسز هوطن الى ذلك قولها « ان بيوت الطبقة الراقية من السوريين المقيمين في جنوب بركلين تفضل بيوت ايٍّ كان من المهاجرين من كل الشعوب في سائر انحاء الولايات المتحدة ». ولما درست لجنة المهاجرة(٢) احوال المهاجرين البيتية في ارداٍ احياء نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وبوسطن وكليفلند وبفلو وملواكي وجدت ان في المئة

(١) "The Survey" عدد ١ تموز سنة ١٩١١

(٢) "Reports" مجلد ١ ص ٧٢٧

٢٦٫١ من ال ٣٥٧ بيتاً سوريًّا التي فحصتها يجوز ان تُنعت « بجيدة » من حيث النظافة والاعتناء وفي المئة ٥٨٫٣ « صالحة » و١٣٫٠٤ « رديئة » و٢٫٢ « رديئة الى الغاية » . يقابلها ٤٥٫٣ في المئة من ال ١٢٣ ١٠ من بيوت الوطنيين والاجانب غيرهم يجوزان تُنعت « بجيدة » و ٣٩ في المئة صالحة » و١٢ « رديئة » و ٣٫٩ « رديئة جداً »

﴿ الملاهي ﴾ الطرز القديم من السوريين لا يجدون في غير قرقعة النارجيلة ومصّ القهوة العربية تسلية لهم في غربتهم وسلوانا يقدرهم على احتمال متاعب حياتهم الجديدة الغريبة فيقبلون عليها في المطاعم والمحلات الشبيهة بالقهاوي . اما الاحداث منهم فيتردّدون على قاعات الصور المتحرّكة والتيارات وبعضهم على قاعات الرقص الاّ ان عدد الاخيرين اقل مما كان ينتظر منهم بين قوم يعبدون اله الرقص

وليس للسوريين شغف بالالعاب الرياضية في الفضاء لانهم اعتادوا في بلادهم الحارة السير البطيء والاكتفاء بلعب « الطاولة » التي لا تستلزم حركة بدنية عنيفة وذلك برغم كونهم في وسط كلهُ حركة واندفاع وبين قوم ينزّل لاعب الكرة base ball منزلة الابطال ويقدم لهُ الاكرام والاحترام. لذلك تجد عدد السوريين الذين يدخلون في عضوية الجمعيات الرياضية وجمعيات الشبان المسيحيين قليلاً

﴿ العيشة العائلية ﴾ السوري حيث كان يرغب في العيشة البيتية ولا يجنح الى عيشة النوادي الاجتماعية Social Clubs وهو لم يزل في الطور الذي تعتبر فيهِ العلاقة الزوجية امراً مقدّساً . ففضائلهُ بالاكثر فضائل عائلية . ولا يمكن فهم مستواهُ الادبي ما لم تُدرَك هذه الحقيقة اولاً . فالوالد هو رأس العائلة القيّم على آدابها ويتحتم على المرأة والاولاد معاملتهُ بالتجلة والاحترام . الاخلال بالفضيلة الزوجية امر يكاد يكون مجهولا والطلاق الذي يعتبرهُ المصلحون الاميركيون غيمة سوداء في افق مدنيتهم غير معروف عند السوريين . اما المشكلة العائلية الكبرى هي وجود هوّة اجتماعية عقلية بين الوالدين اللذين لا يعرفان غير العربية وهما من ذوي الافكار القديمة وبين الاولاد المولودين والمتربين في الولايات المتكلمين بالانكليزية وذوي الافكار الحديثة . فالوالد يميل لان يطلب من بنيهِ طاعة عمياء كما طلب منهُ والدهُ في احدى مزارع لبنان والابن الدارس في المدرسة الاميركية العمومية يصعب عليهِ ان يحترم ويطيع والداً يحسبهُ دونهُ من

حيث التكيف واتقان اللغة لاسيما بعدما يعرف درجة الحرية التي يتمتع بها الاولاد الاميركيون

جاء معنا ان الذي يهاجر يكون غالباً من ذوي النفوس الطامحة والنظر البعيد والعقول المستعدة للتغير وان المحيط الجديد يوقظ فيهِ مواهب كامنة ربما لم يشعر قط بوجودها لو لم يهاجر . ومن الحقائق التي قررها علماء الاجتماع فوق ذلك ان الاولاد الاول المولودين من آباء اجانب في بلاد غريبة ليسوا في الغالب مثل آبائهم ولا مثل القوم الذين ولدوا بينهم . يعوزهم كثير من مواهب آبائهم ومن مواهب ابناء الوسط الجديد ليعتاضوا بها . فهم عقليا ومن حيث الخلق الموروث — لا المكتسب — دون الفريقين . ذلك امر ايدتهُ ملاحظاتي في الابناء السوريين الاميركيين . وللآن لم تُدرَك السنن التي تسير عليها هذه التغييرات ولا مدة استمرارها في الاجيال التالية . ويرجَّح ان الجيل الثاني يفضل الجيل الاول من المولودين

﴿ جمعياتهم ﴾ للسوريين في نيويورك وحدها ٢٥ جمعية (منها اربع للنساء) اساس العضوية في بعضها كجمعية الشبيبة البيروتية وجمعية رام الله جغرافي وفي بعضها الآخر كالجمعية المارونية طائفي وفي غيرها كالنهضة اللبنانية سياسي وفي سواها تهذيبي اوخيري . وليس لهم جمعية جامعة تمثلهم كمجموع وتظهرهم بالمظهر الحسن اللائق بين الجاليات وتجاه الوطنيين كما هي الحال في الجامعة اليونانية لليونانيين الامر الذي يدل على عدم الوحدة الفكرية بينهم . ولقد بلغت رغبتهم في الجمعيات المتفشية بينهم درجة جعلت احد اطبائهم يقول منذ عامين انهم مصابين بمرض جديد سماهُ مرض الجمعيات

وليس بين جمعياتهم على كثرتها جمعية فوضوية او اشتراكية برغم انتشار مبادىء كارل ماركس انتشاراً غريباً في اواخر مدة الحرب والايام التي عقبتها . وكانت وزارة الداخلية توجس خوفاً من انتشار المبادىء البلشفية والاجتماعية المتطرّفة وتقف بالمرصاد لجمعيات الاجانب ولكنها لم تشتبه قط باحد من السوريين . ولما سألتني في جملة من سألت عن تعليل ذلك اجبت ان السوري بوراثتهِ وتطبُّعهِ افرادي الى درجة متناهية فيأنف من كل مشروع اساسهُ نظرية اجتماعية . ويظهر انها اصبحت بعدئذٍ بمأمن تامّ منهم لانها اغضت عنهم

تمام الاغضاء وحوّلت انظارها في وجهات اخرى . واتصل بي ان احدهم حاول مرّة تأسيس فرع للاشتراكية في وشنطن ستريت فاخفق مسعاهُ

مستواهم الادبي

﴿ الفضيلة الاجتماعية ﴾ السوريون في الولايات المتحدة عبارة عن قوم تكتنفهم نتائج المدنية الحديثة واثمارها — من حرية وديمقراطية ومساواة — دون ان يكونوا في تاريخهم قد تطوّروا واجتازوا الادوار الاجتماعية التي انتجت تلك الاثمار وبالتالي دون ان يكون قد تولّدت فيهم الحواجز والرادعات النفسية اللازمة لردع الفرد عن التوغل فيها واساءة استعمالها . فلا عجب اذا حسب بعض شبانهم الحرية فوضى والمساواة مباهاة وعناداً لاسيما وان الربط التي كانت تربطهم بقومهم وعائلاتهم وكنائسهم في وطنهم القديم تكاد تكون مفصومة العرى انما العجب ان عدد الضالين ليس باكثر مما هو

ويظهر من شهادات الاطباء الذين يمارسون الطب بينهم ان عدد المصابين منهم بالامراض الجنسية قليل جداً بالنسبة الى عددهم

ومما يستحق الذكر والافتخار ان تقارير البوليس لا تشير الى وجود امرأة سورية واحدة مشتبه في حسن سمعتها

﴿ إدمان الخمر ﴾ قبل ان وضعت الحكومة الاميركية منذ عامين قانوناً يحظر صناعة الاشربة الالكحولية والاتجار بها وشربها كنت ترى على زاوية كل شارع تقريباً في مدن الولايات هيكلاً لعبادة اله الخمر او صالوناً في اصطلاح الغربيين . ويقابل الصالونات عند السوريين القهاوي وضررها لا يذكر في جنب ضرر الصالونات بما فيها من الوسكي والبيرة والخمور وما ينتج عن ادمانها من الجرائم وحوادث الطلاق حتى ان المفكرين من الاميركيين اجمعوا على ان المسكر هو آفة الآفات في المدنية الحديثة

لا يفهم من هذا ان السوريين لا يشربون انما عدد مدمني الخمرة منهم اقل من عدد مدمنيها بين سائر المهاجرين وبين الاميركيين انفسهم باعتبار النسبة العددية . ولطالما اثنى كتبة الاميركان على هذه الحسنة فيهم وحسبوها اكليل فضائلهم وكمالاتهم . ولقد حاول احدهم مرة فتح صالون في وشنطن ستريت فلقي الخيبة والفشل كما لقي محاول زرع بذور الاشتراكية . ولما اخذت مستعمرتهم في

شيكاغو تمتد الى شارع اسمهُ شرمان تكثر فيهِ الصالونات اخذ اصحاب الحانات هناك يهجرون ذلك الشارع

وفي مقالة نشرها الاديب ميشال معلوف في جريدة بوسطن المسائية (١) ان سيدة اميركية بعد درسها احوال السوريين الاجتماعية في تلك المدينة سنين عديدة صرَّحت بانها في خلال ثماني سنوات لم تقع عينها على امرأة سورية في حالة السكر ولم ترَ سوى رجل واحد سكران

﴿ الميسر ﴾ كما ان الضيافة هي امجد فضائلهم كذلك الميسر هو شر رذائلهم. وقليل من السوريين في الولايات من لا يعرف اساليب المقامرة وكثير منهم من يمارسها . ولا شك ان الاقدمين من سوريين وغيرهم كان لهم المام بالعاب مدارها الحظ والنصيب ولكن القمار كما يمارسهُ المتمدنون فن مستحدث جديد

ويظهر من تقرير منزل دنيسن الاجتماعي في بوسطن Denison House ان منظر الاولاد السوريين يلعبون في حيهم « بالكراب » (٢) Crap اصبح امراً اعتيادياً مألوفاً لاسيما ايام الاحاد والاعياد

﴿ الجرائم ﴾ المتعارف بين الاميركيين وغيرهم ان معظم الجرائم يرتكبها الاجانب في الولايات المتحدة ولكن التقارير الرسمية تثبت ما يخالف ذلك . وليس بين المهاجرين انقى صحيفة من ابناء سوريا . فللارلنديين هنالك جمعية ملي مغوير « Molly Maguires » الفوضوية وللايطاليان اليد السوداء وللارمن جمعية الفدائيين كلتشاك ولليهود والافرنسيس تجارة الرقيق الابيض وليس للسوريين شيء من هذا القبيل . فهم باجماع شهادة العارفين محبون للسلام خاضعون لشرائع البلاد عاكفون على العمل والتحصيل

قال الاستاذ ملر (٣) احد المدرسين في جامعة برنستون « ليس من يفضل السوري في محبتهِ للنظام ومحافظتهِ على القانون . ولقد توليت بنفسي فحص تقارير المحاكم والبوليس فوجدتها تشهد ان ليس بين شعوب نيويورك شعب مسالم مثله »

---

(١) Boston Evening Transcript عدد ٢٢ آب سنة ٩١٧

(٢) هي لعبة قوامها رمي حجري الزهر بالتناوب واعتبار العددين ٧ و ١١ رابحين

(٣) Lucius H. Miller. "A Study of the Syrian Population of Greater New York" صفحة ٥١

وقالت مسز هوطن في مقالاتها المذكورة آنفاً « استشهدتُ القضاة والحكام في كل المدن التي يكثرفيها السوريون فوجدتهم صوتاً حيًّا ناطقاً بتفوق السوريين على سائر شعوب الارض بالسكينة والمحافظة على شرائع البلاد المقيمين فيها »

ومن امعن النظر في حوادث الجرائم التي يقترفها السوريون يرى ان اكثرها من النوع البسيط كالتجول للبيع بدون رخصة رسمية او المسبّب عن جهل اللغة ومصطلحات البلاد . ولقد حدثني مرة عامل عن نفسهِ قال انهُ كاد يفقد حياتهُ ذات يوم وهو مجدّ في الصباح الباكر لمباشرة عملهِ في مصنع للاسلحة فعنَّ لهُ ان يختصر الطريق ويقفز من فوق سور المعمل ولما انتهرهُ الحارس وامرهُ بالوقوف عمد الى الركض لانهُ لم يفهم مرادهُ كما انهُ لم يفهم الكتابة الناهية عن الوثب من فوق السور . ومن حوادث هذا الرجل وهو مولود في قرية دفون بلبنان انهُ كان في خدمة فلاح في ولاية كليفورنيا فسمع يوماً مستخدمهُ يقول لابنتهِ انهُ عازم على ان يذبح ديكاً حبشيًّا واسمهُ بالانكليزية« تركي» (Turkey) في عيد الشكر (وهو آخر خميس من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) تحتفل فيهِ الامة الاميركية والكل يفطرون ديكاً روميًّا) فحسبهُ يعنيهِ بصفتهِ « تركيا » عثمانياً . وما القى الليل سدولهُ حتى تأبط حوائجهُ واذعن الى الفرار . فلحظ الفلاح ذلك منهُ وظنهُ سارقاً فهمّ بلحاقهِ وبندقيتهُ في يدهِ يطلقها عليهِ الى ان توارى عن الابصار وراء اشجار الغابات الكثيفة

وفيما سوى ذلك فجرائم السوريين قليلة مقتصرة على المشاجرات وتهريب البضائع من الكمرك

ومن عادة السوريين ان يقوموا في اثناء مشاجراتهم بضجات عالية فيتوهم البوليس ومخبرو الجرائد ان الحادث جلل لا بد ان يسفر عن قتل وجرح الكثيرين. وما قالهُ الاستاذ فارتشيلد عن اليونانيين يصح عليهم وهو « ان بحارة قارب واحد من اليونان يقومون بضجة وجلبة لا يحدثها اميرال انجلوسكسوني يدير اسطولهُ » . فالشغب الذي جرى بين الموارنة والروم في نيويورك سنة ١٩٠٥ لا يزال اثرهُ السيء في اذهان الاميركيين للآن لانهُ كان اول واسطة للتعارف بين الفريقين كشعبين فنسجت حولهُ الجرائد الاميركية المقالات الضافية وزينتها بالرسوم واحلتها المقام الاول في صفحاتها . ومنها جريدة نيويورك هرالد المحسوبة من

المحافظات الرصينات بين الجرائد الكبرى في البلاد فانها حبرت مقالاً طويلاً في هذا الموضوع وعنونتهُ باحرف ضخمة بارزة هكذا : « حرب الاحزاب السورية في نيويرك . جراح بالمدى وبالرصاص . الاخ على اخيهِ وابناء البلدة الواحدة ضد ابناء البلدة الاخرى . اصدقاء الامس اعداء اليوم . حرب شرقية اسلحتها اميركية . عويل النساء وصعيق الاطفال يشق كبد السماء الخ الخ » وكذلك فعلت جريدة تيمس نيويورك والحال ان نتيجة القتال كلهِ برغم تجدُّد وقعاتهِ كل يوم مدة اسبوع لم تكن سوى قتيل واحد وجرحى يعدون على الاصابع

﴿علاقتهم بالوطنيين﴾ السوريون مع كثرتهم في اعتبارنا هم في نظر الحقيقة نقطة في بحر المهاجرين الى الولايات المتحدة وكثيرون من سكانها للآن لم تقع عينهم على سوري

وسنة ١٩٠٩ رفضت محكمة سنت لويس سوريًّا طالباً التجنُّس بالجنسية الاميركية بدعوى انهُ من غير الجنس الابيض . فاستؤنفت دعواهُ الى المحكمة العليا واتخذت المسألة اهمية وطنية الى ان نقضت المحكمة العليا حكم المحكمة الابتدائية . وكذلك فعلت محكمة الاستئناف في نيويورك عند ما رفض قاضي المحكمة الابتدائية فيها منح الرعوية لطالب آخر من السوريين

ومن المرجح ان جماعة من المبشرين مدفوعين بعامل استنهاض همم قومهم واثارة عواطفهم لعضد المشاريع التبشيرية في سوريا اظهروا السوريين بمظهر غير لائق. فكنت احياناً اتعرّف بشخص في كنيسة او اجتماع ديني فيسألني عن عدد السنين التي مرّت منذ اعتناقي المسيحية وعما اذا كان والداي مسيحيين فأجيبهُ بالطف اسلوب ممكن ان عهد تنصير آبائي يرجع الى ايام بولس الرسول . اما تأثير اساتذة الجامعة الاميركية فكان بالاجمال على ضد ذلك . ومن هؤلاء الاستاذ ملر من جامعة برنستون الذي استشهدنا بهِ سابقاً والدكتور ليري(١) الذي كتب في احد تآليفهِ ما تعريبهُ : « ابن ايّ فلاّح سوري كان ربما اصبح في مستقبل الايام موظفاً كبيراً في حكومة مصر او تاجراً مثرياً في الارجنتين او شاعراً باللغة الافرنسية او راعياً لكنيسة اميركية في الولايات المتحدة . وابن الترجمان الذي يرافقك في سياحتك الى الارض المقدسة ربما كان صاحب تآليف بالانكليزية الفصحى تشتهي ان تطلع عليها او جرّاحاً تنقذك براعتهُ من خطر الموت . وما

(١) ص ٢٤—٢٥ Lewis G. Leary, "Syria the Land of Lebanon."

هذه نظريات اتوهمها بل حقائق أبنيها على سير اشخاص اعرفهم. ومن ابناء سوريا في ارض المهجر من سعى سعياً وجاهد جهاداً يذكرنا بقصة غرفيلد او لنكلن (من رؤساء الجمهورية الاميركية واعظم ابطالها) ... فالسوري مقتصد معتدل طماح الى العلى ودود قابل للتكيف مضياف للغرباء لطيف العشرة ذو عقل نير وطبيعة دينية وميل الى التضحية في سبيل غاية يعتقدها »

وما اللوم كلهُ على الاميركيين في انهم لا يفهمون السوريين بل على السوريين انفسهم فانهم هنالك — على ما قالت لي سيدة اميركية تعجب بهم وتغار على صيتهم — مختبئون وراء جرائدهم ولغتهم العربية . وهاك مثالاً من جريدة عربية وصلتني اليوم من نيويورك وفيها نبأ مقابلة الوفد الصهيوني للرئيس هاردنغ وتصريح الرئيس باستعداده لعضد الفكرة الصهيونية. ولقد عقب المحرر على ذلك بمقال طويل جاء فيهِ ان هاردنغ لا يعرف نسبة اليهود العددية الى بقية العناصر في فلسطين الى آخر ما هنالك من الحجج المألوفة عندنا والتي لا سبيل لها للوصول الى الرأي العام ما لم تصدر باللغة الانكليزية . فرسالة بالانكليزية ترسل الى محرر جريدة اميركية او الى البيت الابيض راساً خير من مجلد يكتب بالعربية

وربما كانت كتابات القس ابرهيم الرحباني وتآليفهُ الانكليزية واخصها « المسيح السوري » "The Syrian Christ" من اكبر العوامل التي تساعد الاميركيين على فهم السوريين وتقديرهم قدرهم

وبقيت الحال على ذلك الى ان جاءت الحرب العظمى وظهر السوريون بمظهر وطني شائق وبرهنوا بخدماتهم اخلاصهم الشديد لحكومة اميركا وتعلقهم بمبادئها كما سنبينهُ فيما يلي فبدأ شعور الوطنيين للحال يتغير نحوهم . فلولا الحرب لما كان الاستاذ كول(١) كتب عنهم ما كتب في رسالة نشرها المجلس التهذيبي في ولاية ماستشوستس . ومن قولهِ « السوريون شعب على جانب عظيم من الذكاء والتدين ومضاء العزيمة . وهم يفاخرون بجنسيتهم ويقبلون على التهذيب ويخلصون لمعالم العمران في هذه البلاد . ومن فضائلهم لطف المعاشرة واكرام الضيف والاعتدال»

---

(١) William J. Cole, " Immigrant Races in Massachusetts, the Syrians". صفحة ٤

(٥)

﴿ تأمركهم ﴾ اجمع الخبيرون ان السوريين من اسرع الشعوب تكيُّفاً بمقتضيات المحيط الجديد واقتباساً لعادات القوم الذين يساكنونهم. فلا يمضي على المهاجر الى الولايات ثلاث سنوات حتى يطلب اوراق تجنسهِ الاولى وعند مضي خمس سنوات يندمج في الرعوية الاميركية . وعلاوة على المؤسَّسات الاميركية التي تسعى لتشويق الاجانب بالرعوية الاميركية وتسهّل عليهم سبل التمتع بها انشأ السوريون انفسهم نادياً لهم في نيويورك لهُ فروع في مدن الداخلية اسمهُ النادي السوري الاميركي (Syrian American Club) غايتهُ ترغيب السوريين في التابعية وحثهم على اقتنائها.ويستنتج من تقريره الاخير انهُ في سنة ١٩١٩ ساعد في مدينة نيويورك ٥٩٧ سورياً طالباً للتجنس

ولا ينتظر من السوري الذي لم يألف في بلادهِ الاشتغال بالشؤون السياسية ان يعمد الى السياسيات في عالمهِ الجديد فهي في اعتبارهِ امور لا تعنيهِ ولا قبل لهُ على الاشتغال بها. وكثيرون من السوريين المتجنسين الذين لهم حق التصويت لا يكلفون انفسهم عناء التصويت في اوقات الانتخابات العمومية. ولدى انتخاب رئيس الولايات المتحدة في السنة الماضية صوّت النساء الاميركيات لاول مرّة في تاريخ الولايات وربما لم يصوّت من النساء السوريات اللواتي لهن الحق اكثر من اثنتين في المائة

﴿ خدماتهم الحربية ﴾ احرز السوريون في اثناء الحرب مقاماً حسدهم عليهِ غيرهم من المهاجرين . فانهم اظهروا باعمالهم وعلى صورة لا تقبل الشك والتأويل انهم من اشد الناس تعلقاً بوطنهم الجديد وحرصاً على معالم عمرانهِ واستعداداً لافتدائهِ بالدم لدى الحاجة .واثبتوا ان الاميركيين الاصليين انفسهم لا يفضلونهم من هذا القبيل.فالذين اشتبهت الحكومة باخلاصهم لها في الحرب وتعقبتهم كخونة او جواسيس وبينهم افراد من كل الملل والنحل حتى من الاميركيين انفسهم ليس بينهم سوريٌ واحد

وفي السنة الفائتة استجوبت الكثيرين من السوريين عن احوال الجالية التي هم منها وطلبت اليهم ان يرسلوا اليَّ قصاصات من جرائد اميركية محلية فكانت كلها تقريباً فقرات تتعلق بخدماتهم الحربية

ويظهر من تقرير نظارة الحربية ومدير تعبئة الجيش ان عدد السوريين الذين حملوا السلاح لمحاربة المانيا في البرّ والبحر لا يقلّ عن ١٤٠٠٠ شاب وهو نحو ٦ في المائة من مجموعهم برمتهم . بينما معدل الجنود الاميركية لا يزيد على اربعة في المائة من مجموع الشعب الاميركي

ويؤخذ من تقرير نظارة المالية انهُ في قرض الحرية الرابع الذي عقدتهُ الحكومة لمتابعة الحرب اشترك من مدينة نيويورك وما جاورها ٤٨٠٠ سوري بابتياع ما قيمتهُ ١٢٠٧٩٠٠ ريال من السندات وبزيادة تذكر عما ابتاعهُ عدد موازٍ لهم من الاميركيين الاصليين

وفي الرابع من تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ اغتنمت الحكومة فرصة حلول عيد الحرية لتجدّد في شعوبها عهود الولاء والاخلاص لها فنظمت استعراضاً لم تشهد لهُ نيويورك مثيلاً مشت فيهِ آلاف ممثلي الجاليات ووفودها بين تصفيق ملايين المتفرجين وهتافهم . فحازت المظاهرة السورية على الجائزة الثانية وهي قارب فينيقي مزين بالازهار فيهِ جماعة يمثلون تلامذة المسيح لما امرهم بالذهاب لتبشير العالم كليهِ وعليهِ الآية التالية باحرف من ورد : « اول حملة سورية لتحرير العالم » . وعقب القارب عربة فيها فتاة حسناء تمثل سوريا طالبة التحرير من كولمبيا ورسم عليها بالازهار آية تعريبها « سوريا المحررة »

ولم يقتصر هذا الاستعراض على نيويورك بل عمَّ مدن الولايات باسرها كما يتضح من رسم المظاهرة السورية في مدينة شيكاغو

﴿ علاقتهم بالجاليات الاجنبية ﴾ ليس للسوريين من علاقة خصوصية باحدى الجاليات الاجنبية. اليهود ينافسونهم في تجارة البضائع واليونان في السمانة والعطارة . وفي المدة الاخيرة اخذ الشبان السوريون يتزوجون من البنات الاميركيات ولا شك ان عدد الزيجات المختلطة سيزيد بمرور الايام . واكثر الزيجات المختلطة من السوريين والاميركيين على اتم رغد وهناء

﴿ علاقتهم بوطنهم القديم ﴾ اذا اتخذنا حنين السوريّ المهاجر الى تربة آبائهِ

واجداده مقياساً لشدة تعلقهِ بها فتكون علاقتهُ بوطنهِ القديم من امتن العلاقات واشدها ارتباطاً

راجع ما يكتبهُ الشعراء السوريون في اميركا وما تنشرهُ صحفهم فتعجب من اكثارهم من ذكر بلادهم وتغنيهم بمحاسنها وتعدادهم فضائلها فكان البعد والزمان قد نسجا من النسيان خيوطاً على كل ماكان غير مستحب في محيطهم الاصلي وابقيا منهُ في الحافظة صورة خيالية كمالية . ثم اسأل من شئت وشاءت الاحوال ان تجمعك بهِ من السوريين غير المولودين في اميركا عن رغبتهِ في الرجوع فيجيبك بسرعة وصراحة انهُ راجع لا محالة

واذا صحَّ اعتبار كمية الاموال التي يرسلها المهاجرون الى اهلهم دليلاً على عطفهم فيكون السوريون المهاجرون من اكثر الشعوب عطفاً على قومهم وتعلقاً بهم

ومن المشهور في الولايات المتحدة انهُ ليس بين الجاليات واحدة ترسل الى وطنها القديم ما ترسلهُ الجالية السورية نسبة لعددها . قال احد المراسلين الذين رافقوا لجنة المهاجرة الى سوريا ان عدد البيوت بين بيروت ودمشق المبنية باموال اميركية يزيد خمسة اضعاف على البيوت التي بنيت كذلك في ايطاليا . ومما ذكرتهُ مسز هوطن في مقالاتها ان معدل ماكان اهالي زحلة يقبضونهُ من مهاجريهم في السنة التي كانت تكتب فيها مقالاتها (١٩١١ — ١٩١٢) لم يكن يقل عن ٥٠٠ ريال يومياً

وفي اواخر الحرب لما اشتدت الضائقة في سوريا ولبنان تألفت في نيويورك جمعية الاسعاف السورية اللبنانية (Syrian Mt. Lebanon Relief Committee) وجمعت في خلال سنتين ونصف من خمسة عشر الف مهاجر سوري مبلغ ١٦٥ ٨١٥ ريالاً اميركياً . وبلغ مجموع ما تبرع بهِ المهاجرون الى عشرين آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ بواسطة لجنة منكوبي الارمن والسوريين (Near East Relief) ١٦٨٫١٠٠ ريال وبواسطة المجمع التبشيري المشيخي لاهلهم وانسبائهم ٢٥٠ ٣٦٢ ٢ ريالاً وذلك الى اول كانون الاول من سنة ١٩١٩ . اما ما قدموهُ الى اهاليهم بواسطة القصادة الرسولية والسفارة الاسبانيولية فلم اتمكن من معرفتهِ من مصادرهِ الرسمية

العوامل التهذيبية

ليست العوامل التهذيبية على ما يجب ان تكون عليهِ من الوفرة والفاعلية في الجالية السورية . ويظهر ان اندفاع القوم بكل قواهم الى تحسين حالتهم الاقتصادية وهو الغاية الرئيسية من هجرتهم كما تبين معنا آنفاً ولَّد فيهم ميلاً مادياً يحول دون الانعكاف على الامور التهذيبية السامية . ولقد اجمع الذين استجوبتهم من السوريين وغيرهم عن حاجة جاليتهم العظمى على ان التهذيب هو ما يحتاج اليهِ الجميع على السواء

﴿ المدارس العمومية والطائفية ﴾ ليس من بلاد متوفرة فيها وسائط التعليم الابتدائي توفرها في الولايات المتحدة فعلى كل ولد بين السادسة والرابعة عشرة ان يلازم المدارس العمومية المجانية . ولا فرق في ذلك بين الذكور والاناث وفي كثير من الولايات جامعات تخصها (State Universities) يتمكن الطالب ان يتعلم فيها بنفقة زهيدة حتى يحرز منها اية شهادة كانت او رتبة علمية

ويلوح لي من تقرير لجنة المهاجرة الذي استشهدت بهِ سابقاً ان الاباء السوريين لم يعدموا الرغبة الشديدة في ارسال ابنائهم الى المدارس الابتدائية . اما متى بلغ الواحدمنهم الرابعة عشرة ام الخامسة عشرة فيحسبونهُ قد بلغ الدرجة القصوى من العلم ويطلبونهُ للعمل او الاستخدام . لذلك قلَّ من بنيهم وبناتهم من يصل الى الكليات والجامعات

ولما كانت العلوم الدينية محظورة في المدارس العمومية رأت الكنيسة الكاثوليكية ان تقيم مدارس تنافس المدارس العمومية وتلقن الفروض الدينية والصلوات والطقوس . اما اقبال التلامذة الموارنة والروم الكاثوليك على هذه المدارس الطائفية Parochial فليس بالكثير . يدلُّك على ذلك انهُ في السنة الفائتة كان في المدرسة العمومية في وشنطن ستريت نيويورك ٣٥٠ طالباً وفي مدرسة القديس بطرس ٦ مع ان الاثنتين على مسافة واحدة من الحيّ السوري واكثر سكانهِ موارنة وكاثوليك

وقبل الحرب انشأ بعض الكهنة السوريين مدارس بسيطة ملحقة بكنائسهم يتردَّد اليها الطلاب من ابناء ابرشيتهم في عصارى النهار بعد اقفال ابواب المدارس

العمومية بغية تعلم اصول ديانتهم ومصطلحات طقوسهم وعبادتهم .ولكن بعض الولايات في اثناء الحرب سنّت قانوناً يحظر تعليم السكان من الاولاد بغير اللغة الانكليزية فلم يبقَ من اثر لهذه المدارس

ولما كانت المدرسة العمومية في وشنطن ستريت المذكورة آنفاً اكبر واقدم معهد علمي للاولاد السوريين قابلت مرة رئيسها لاستطلاع رأيهِ في مقدرة التلامذة السوريين ودرجة ذكائهم واجتهادهم . والى القارىء خلاصة ملاحظاتهِ التي تنطبق على حالة السوريين في كل بلدة وهي مبنية على اختبار عشرين عاماً من التدريس بينهم قال :

« لا يظهر تلامذتنا السوريون آيات نباهة غيراعتيادية .فانهم يأتون بالاكثر من بيوت وضيعة حيث الوالدون لا يحسنون الانكليزية . ولكنهم اجمالاً يجيدون الانكليزية قبل غيرهم ويواظبون على الحضور ويعاملون معلميهم بالتجلة والاحترام ويحسنون السلوك مع رفاقهم التلامذة . وهذه المقدرة في الاولاد السوريين على تعلم الانكليزية بسرعة (او « التقاطها » pick it up كما صرّح الرئيس في حرفية كلامهِ) امر لاحظهُ ونوه بهِ الكثيرون من المعلمين والمعلمات الاميركيين

﴿ الكليات ﴾ عنيت في العام الماضي باحصاء التلامذة السوريين في الكليات والجامعات فوجدت عددهم يناهز الاربعين فقط بينهم فتاة واحدة واكثرهم ممن سافر خصيصاً في سوريا لمتابعة الدروس العليا لا من المولودين هنالك . وبالمقابلة مع الارمن مثلاً يتبين ان السوريين دون اولئك بمراحل من حيث الاقبال على العلوم العالية من تهذيبية وفنية . ولدى تجوالي بين كليات اميركا قلما كنت ادخل واحدة منها ولا اجد طالباً او اكثر من ابناء جبال اراراط . وفي بعض الكليات اساتذة الارمن حائزون على شهرة طائرة . وللتلامذة السوريين في كليات هرفرد وكولمبيا وكلية الفنون في كمبردج باميركا سمعة طيبة واثر حسن اذ ان منهم مَن نال الامتيازات وحاز قصب السبق فيها

ولسدّ هذا الخلل في ابناء سوريا المولودين في الولايات تأسست منذ ست سنوات جمعية سورية تهذيبية غايتها تنشيطهم على التمتع ببركات الفرص التهذيبية

الجة في الولايات المتحدة وتسهيل الوسائل لمن كان من الطلبة على غير سعة من الحال للدخول في الكليات . ولها السنة في كليات كورنل وكولمبيا وجورج وشنطن وكلفات (Colgate) وبتسبرغ وجورجيا ستة تلامذة تمدهم بمساعدتها المالية منهم اثنان يدرسان الطب واثنان الهندسة وواحد العلوم وآخر الكيمياء. ومن آثار هذه الجمعية انها اصدرت في هذا الصيف دليلاً تهذيبياً لمن اراد ان يطلب العلوم في الولايات من السوريين وكانت قد كلفتني ان اختصره لها من دليل تهذيبي شامل وضعتهُ للتلامذة الاجانب عموماً في الولايات(١)

﴿ الادب ﴾ السوري في اميركا يستعمل مواهبهُ وقواهُ العقلية في التجارة والصناعة لا في الادب والكتابة لذلك ندر بين السوريين من تخصص للانشاء والتأليف ومن هؤلاء افراد معروفون تفوقوا بالكتابة ولهم معجبون ومريدون في العالم العربي كلهِ يقتفون آثارهم وينسجون على منوالهم

ومن الاطلاع على قائمة الكتب في المخزنين السوريين الوحيدين لبيع الكتب في العالم الجديد يتبين ان الغذاء الروحي الذي تقتات بهِ العقول هنالك من النوع القصصي السخيف لا من النوع الفاخر المغذي

وفي مدينة نيويورك مكتبة عمومية فيها دائرة شرقية محسوبة الثانية في اميركا بعد مكتبة الكونغرس في وشنطن كنت في عطلة الصيف اشتغل فيها واعجب من قلة عدد القراء السوريين في جنب القراء من الارمن

وبينا اكتب هذه السطور اراجع في ذاكرتي محتويات البيوت السورية التي زرتها في بركلين حيث يقيم خيرة جاليتنا الاميركية فلا ارى عالقاً فيها سوى صورة بيت تاجر واحد يعدّ صاحبهُ خزانة الكتب من لوازم البيت

﴿ الصحافة ﴾ على ان ذلك كلهُ لا يفيد ان السوريين لا شغف عندهم بالمطالعة والاَّ فكيف يتيسر لست مطابع وسبع جرائد وست مجلات ان تزدهر بينهم . المطابع اكثر جمع الحروف فيها من الطرز الحديث (Linotype) ومركزها نيويورك ما عدا واحدة في بوسطن . والجرائد اليومية هي « الهدى » « ومرآة الغرب » «والشعب» «والنسر» والنصف اسبوعية « السائح » والثلث اسبوعية

(١) المقتطف — وقد قرظناه في عدد دسمبر الماضي من المقتطف

« البيان » والشهرية « العصر الذهبي » . اما المجلات الشهرية فهي « المجلة التجارية » و « الاخلاق » و « فتاة بوسطن » و « الروضة » والبرهان » في لورنس « والحرية » في ديترويت واصحابها جميعاً من المسيحيين الاَّ « البيان » « والبرهان » فصاحباهما درزيان . والنشرة المدينية الوحيدة في اميركا بعد ان احتجبت « الكلمة » التي كان يصدرها السيد رفائيل هواويني هي « العصر الذهبي » يقوم بتحريرها شرذمة من السوريين اتباع رسل Pastor Russell القائل بقرب انتهاء العالم ومجيء المسيح . اما نشوء المجلة التجارية الفريدة من نوعها فدليل علي الحد الذي وصلتهُ تجارة السوريين من حيث الاهمية والاتساع

ومع ان قائمة المشتركين في اكبر جريدة سورية اميركية ربما لم يزد على خمسة آلاف فللصحافة تأثير لا يستخف بهِ في تكييف الرأي السوري العام — ان كان هنالك رأي عام — وفائدتها بالاكثر الاعلان والوقوف على اخبار الوطن والمستجدين من المهاجرين الذي لا سبيل لهم الى الاطلاع على الجرائد الانكليزية بلغتها . والصحافة السورية كلها من النوع الحر الناهض ويؤخذ على بعضها انها كانت فيما مضى تتعرض للشخصيات والطائفيات استجلاباً للمشتركين واندفاعاً بعامل التحزّب

احوالهم الدينية

الناس عموماً والسوريون خصوصاً يتشبثون بمعتقداتهم ومنشآتهم الدينية اكثر من تشبثهم بما سواها من المذاهب والمؤسسات الاجتماعية والعمرانية . فهم يرضون بترك آرائهم الاقتصادية ومبادئهم السياسية وبتبديل لغتهم الوطنية قبل ان يرضوا بالاقلاع من معتقد دينهم حتى ان بعضهم يصرُّون على التلبس والتظاهر بهِ والاستمرار في الانضمام الى الفئة التي تنتمي اليهِ بعد ان تكون اركان ذلك المعتقد قد تزعزعت من اذهانهم او تقوَّضت

فمسألة الدين في اعتبار السوري ليست مسألة عقلية روحية فقط بل وطنية قومية . ولهذا ترى السوريّ في الولايات محافظاً كل المحافظة على الطائفة التي وُلد فيها سواء كانت عقيدتهُ الدينية لم تزل على اتفاق وانطباق مع تعاليم تلك الطائفة ام لم تكن . فلا عجب اذن اذا رأيت السوري يحمل كنيستهُ معهُ اين اقام

في الولايات المتحدة ولا ترى بلدة فيها خمسون عائلة سورية فا فوق من طائفة واحدة ليس فيها كنيسة شرقية لتلك الطائفة

فللموارنة وعددهم نحو المئة الف نفس ٣٢ كنيسة و٣ رسالات روحية و٣٩ كاهناً وللروم الارثوذكس وعددهم يناهز التسعين الفاً ٣٠ كنيسة و١٣ رسالة روحية و٤٧ قسيساً . وللروم الكاثوليك ١٤ كنيسة و٥ رسالات و٢١ قسيساً وللبروتستانت ٣ كنائس ورسالتان و ٥ وعّاظ . وستجد ذلك مفصلاً في الجداول التابعة

﴿ الموارنة ﴾ اول كاهن ماروني دخل الولايات للاقامة فيها والخدمة الروحية هو الآب بطرس قرقماز وذلك في شهر آب (اغسطس) من عام ١٨٩١ . وكان قد سبق فزار الولايات قبله اثنان او ثلاثة من الكهنة المارونيين قصد جمع الاحسان . وانتخب الاب قرقماز مدينة نيويورك مقرّاً لهُ . وعقبهُ فيها سنة ١٩٠٤ الخوري فرنسيس يواكيم . ومن الفقرة التالية من رسالة كتبها الخوري يواكيم باللغة الانكليزية تتجلى علاقة الكهنة المارونيين في الولايات بالسلطة الكاثوليكية العليا في اميركا وروما ولبنان وهي : « واطلعني غبطتهُ (البطريرك الماروني) على رسالة من رئيس اساقفة نيويورك يذكر فيها ان القطيع السوري في نيويورك قد اصبح بحيث لا يستطيع خادم واحد على القيام بخدمتهِ الدينية ويطلب راعياً آخراً . . . ولم يكن من موجب للتعريج على رومة واستئذانها لان الاستدعاء جاء من رئيس اساقفة نيويورك رأساً . لذلك توجهت توّاً الى نيويورك ولما مثلت بين يدي السنيور فارلي (رئيس الاساقفة) قدمت اليهِ كتاب البطريرك فالتفت اليّ بعد الاطلاع عليهِ قائلاً ان غبطتهُ يطريء حسن عملك ومجهوداتك التبشيرية في لبنان . ولي الثقة انك تجيد صنعاً هنا كما اجدت هنالك . ومن الآن امنحك سلطة الرعاية في هذه الابرشية » . ومنها يتضح ان الكهنة المارونيين في الولايات خاضعون للاساقفة الكاثوليك من الاميركان وتحت مطلق سلطتهم

السوريون في الولايات المتحدة

(٦)

﴿الارثوذكس﴾ بناء على طلب ابناء هذه الكنيسة في الولايات المتحدة ارسل المجمع المقدس المسكوني سنة ١٨٨٥ الخوري رفائيل الهواويني الذي كان يومئذٍ تلميذاً في روسيا اسقفاً على الكنيسة السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية. فجعل مقامهُ في بروكلين واحكم عرى الارتباط بين كنيستهِ وبين الكنيسة الروسية. وبقيت الحال على ذلك الى ان توفي عام ١٩١٥ وانتخب خلفاً لهُ السيد افتيموس عفيش سنة ١٩١٧ فرغب الكثيرون من ابناء الابرشية في الانفصال عن الكنيسة المسكوبية لاسيما وان احوال روسيا كانت ولم تزل مضعضعة وراموا الانضمام الى الكنيسة الانطاكية في سوريا. ولما لم يتفقوا مع الفريق الآخر من ابناء كنيستهم اعلنوا تعيين الاسقف جرمانوس شحاده مطران بعلبك الذي كان زائراً في الولايات رئيساً دينياً لهم. وعادوا الى ما كانوا عليهِ قبل ذهابهم الى الولايات تحت ادارة بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الانطاكية

﴿الروم الكاثوليك﴾ الروم الكاثوليك اول من استقدم كاهناً سورياً الى الولايات المتحدة وهو الخوري ابرهيم بنشاواتي. وذلك سنة ١٨٩٠ باذن خصوصي من رومية. والكهنة الكاثوليك كالكهنة المارونيين هم تحت طاعة الاساقفة الاميركان الكاثوليكيين

﴿البروتستانت﴾ ليس لهؤلاء سوى ثلاث كنائس منظمة في بروكلين وفال رڤر وبتسبرغ لكل منها راعٍ يكرّس وقتهُ للخدمة الدينية. ولهم في اربعة اماكن غيرها اشخاص غير منقطعين للعمل الديني يقيمون الصلاة في قاعات مأجورة او في كنائس اميركية. ومن السوريين ستة قسوس لهم رعايا اميركية

ومما يستحق الذكر ان ابناء هذه الطائفة لا يلقون من اهتمام البروتستانت الاميركان ما يلقاهُ ابناء الطوائف الكاثوليكية من الكاثوليك الاميركين. فيعود بعضهم الى الطائفة التي كان منها قبل ان اعتنق المذهب الجديد. وسبب ذلك تعدّد الشيع البروتستانية في الولايات المتحدة بحيث يصعب على احداها ان تشعر

بالمسؤولية والواجب نحو البروتستانت السوريين لاسيما وانهم ليسوا من اعضاء احدى الشيع الاميركية بل من كنيسة سورية انجيلية

وبما ان سوريا موقعها بالاكثر في منطقة المجمع التبشيري المشيخي (Presbyterian) اخذت بعض الكنائس المشيخية تتقرب من السوريين الانجيليين وتمد كنائسهم بالاسعاف . في بروكلين اقامت لهم نادياً ادبياً روحياً وفي سنت لويس عينت أرمنياً يحسن العربية لخدمة الارمن والسوريين . وفي كليفلند رأيت في قائمة اعضاء كنيسة واحدة اميركية عشرة اسماء سورية

﴿ المسلمون ﴾ في الولايات المتحدة نحو ٨٠٠٠ مسلم وليس لهم جامع في كل البلاد ولا امام يؤمهم . ولكن لهم في كليفلند وديترويت وأكرن ونيويورك غرفاً في بيوت يجتمعون فيها للصلاة ويؤمهم واحد منهم

﴿ الدروز ﴾ الدروز كالمسلمين يحافظون ما استطاعوا على فروض دينهم ولكن لا يظهر للعموم تعلّقهم برسوم دينهم الاَّ في جنازتهم. وهم يقرُّون بالزعامة لتاجر مثرٍ منهم يقيم في سنت جوزف مزوري . ولشبيبتهم جمعية اسمها « الباكورة الدرزية » تأسَّست سنة ١٩٠٧ في سياتل وشنطن ولها خمسة فروع في كليفلند وديترويت وبت منتانا .Butte, Mon واكرن ونرفلك (وست ڤرجينيا). ورئيس الجمعية طالب طب في شيكاغو ذكر لي في العام الفائت انهُ لا يعرف سوى ثلاث نساء درزيات في الولايات مع ان عدد الدروز هناك يبلغ الفاً. وزاد على ذلك ان مسألة المجيء بالنساء هي من اهم مشاكل الدروز المهاجرين وان الاكثرين يقولون بعدم جوازه لئلاَّ تتوطد قدم جاليتهم في الوطن الجديد فيفقدون بذلك قوميتهم

﴿ النُّصيرية ﴾ يكثر عدد هؤلاء في نيوكاسل بنسلڤانيا حيث يقيم نحو من ٢٥٠ نفساً منهم يعملون في المعامل والمناجم. ولهم شيخ يزور ابناء طائفتهِ المتفرقين في انديانا وكونتيكت ووست ڤرجينيا

﴿ اليهود ﴾ لقد اغفلنا امر اليهود في هذا البحث لانهم في الولايات المتحدة يلتصقون بابناء دينهم من البلدان الاوربية ولا يكوّنون جزءًا من الجالية السورية

﴿ المشكلة الدينية ﴾ هل تتمكَّن الكنائس الشرقية من ابقاء سلطتها محكمة على اذهان الناشئة الجديدة في عالمٍ يعتبر الدين اقتناعاً عقلياً روحياً لا صبغة

قومية او وطنية وتكثر فيهِ المذاهب الطبيعية والمادية ؟ ذلك سؤال يتوقف جوابهُ على مقدرة تلك الكنائس على التكيف بموجب مقتضيات القوم الجديدة

ويظهر لنا من مراقبة سير الامور ان الكنائس الشرقية للآن لم تجد صعوبة في ابقاء الجيل القديم ضمن حظيرتها ولكنَّ الحال على غير ذلك في النشء الجديد . ومع اننا لا نلقى سوريًّا واحداً يجاهر بان لا دين لهُ او يفاخر بشكوكهِ شأن الكثيرين من البوهيميين واليهود فمع ذلك نرى العديدين من فتياننا معرضين عما يتعلق بالدينيات لا يهمهم امرها ولا يكترثون لها

ولا يخفى ان المهاجر لاسيما في اول عهد غربتهِ هو في حالة روحية عقلية غير محددة. النواهي والقيود التي كان لها على نفسهِ في وطنهِ القديم تأثير محكم يصبح فعلها فيهِ وهو مهاجر ضعيفاً . والمبادىء الادبية التي يعمل القوم بها في مقامهِ الجديد لم تتمكن للآن من نفسهِ . فهو بين بين وعلى برزخ بين عالمين مفلت من الربط القديمة العائلية والكنسية والقومية وغير مقيد بالربط المحيطة بهِ . فلا هو شرقي معروف ولا اميركي عريق . ومما يزيد الامر خطارة ان الادبيات في ذهن الشرقي مرتبطة ابداً بالدينيات فان تزعزعت هذه تدانت تلك الى السقوط وان تقوَّضت الثانية لم يبقَ للاولى اثر

﴿ مستقبل الكنائس ﴾ لا نرى للكنائس الشرقية في الولايات المتحدة ولا لكل المنشآت القائمة على غير اللغة الانكليزية مستقبلا مستقلا اذ ان قوامها بالاكثر على المستجدّين من المهاجرين وما هؤلاء بنبع دائم لا ينضب معينهُ . فان اتخذتْ سنة النشوء سيرها المعتاد فلا بد اخيراً للموارنة والروم الكاثوليك من الاندغام في جسم الطائفة الكاثوليكية الاميركية . وللبروتستانت من الالتصاق بالانجيليين الوطنيين . وللروم الارثوذكس من الالتحاق بالكنيسة الاسقفية التي تعتبر نفسها بروتستانية باعتبار عدم خضوعها للكرسي البابوي وكاثوليكية باعتبار محافظتها على الاسرار والطقوس وبذلك تحاسن الكنيسة الارثوذكسية

والذي يرقب حركة الكنائس المسيحية في العالم يعلم ان الكنيسة الاسقفية ما فتئت من مدة طويلة تتقرَّب الى الكنائس الارثوذكسية في روسيا واليونان والبلقان وتحاول احكام عرى التفاهم معها . اما في الولايات المتحدة فلها اهتمام

خصوصي بالارثوذكس وهي تشمل الارثوذكس السوريين في دليلها السنوي

ويؤخذ من تقرير رفعهُ ارشديكون اسقفي في ولاية اكلاهوما يكثر في منطقتهِ عدد العمال السوريين في الآبار الزيتية انهم الوحيدون من الاجانب الذين يرسلون اولادهم الى مدرسة الاحد . وفي كتاب اصدرتهُ الكنيسة الاسقفية منذ عامين بعنوان « جيراننا » (١) ان الارثوذكس من السوريين ينظرون الى هذه الكنيسة نظرة المحبة والاحترام ويطلبون من قسسها في بعض الاحيان ان يفتحوا لاولادهم مدارس احدية. ويذكر الكتاب ان اسقف نيو همشير يقدم مساعدة مالية لمن رام من التلامذة السوريين الدخول في مدرستهِ وانهُ سعى في خلال الحرب عند الحكومة الاميركية لتقديم الخدمة الروحية اللازمة للارثوذكس السوريين في الجيش الاميركي

اما مصير الموارنة والبروتستانت فواضح حتى انك لا تجد عائلة مارونية مقيمة في بلدة لا كنيسة مارونية فيها يعرف ابناؤها شيئاً عن مارونيتهم وعندهم ان الكنيسة الرومانية والكنيسة المارونية اسمان المسمّى واحد . ولما زار الولايات احد اساقفة الطائفة المارونية في العام الماضي وهو اول اسقف ماروني دخل الولايات استطلعتهُ رأيهُ في هذا الشأن فسلّم بصحة ما قلت واستدرك بقولهِ « ما لم تبادر الطائفة وتعين اسقفاً لها في الولايات »

الخاتمة

هل يرجع المهاجرون من الولايات المتحدة ؟ اذا كان لا بد من حصر الجواب بكلمة واحدة . فالجواب كلاّ

لا شك ان بعضهم يعود لاسباب صحية او دواعٍ عائلية واقل منهم لاغراض تجارية او صناعية ويزداد عدد هؤلاء الاخيرين بازدياد تحسن احوال البلاد السورية ولكن النتيجة العمومية التي لا مناص منها ان جمهورهم باقٍ حيث هو مسيَّرٌ بقوة هائلة لا استطاعة لهُ على مقاومتها تجرفهُ الى حيث يبتلعهُ المحيط الجديد فيمن ابتلع ويبتلع من الشعوب والامم

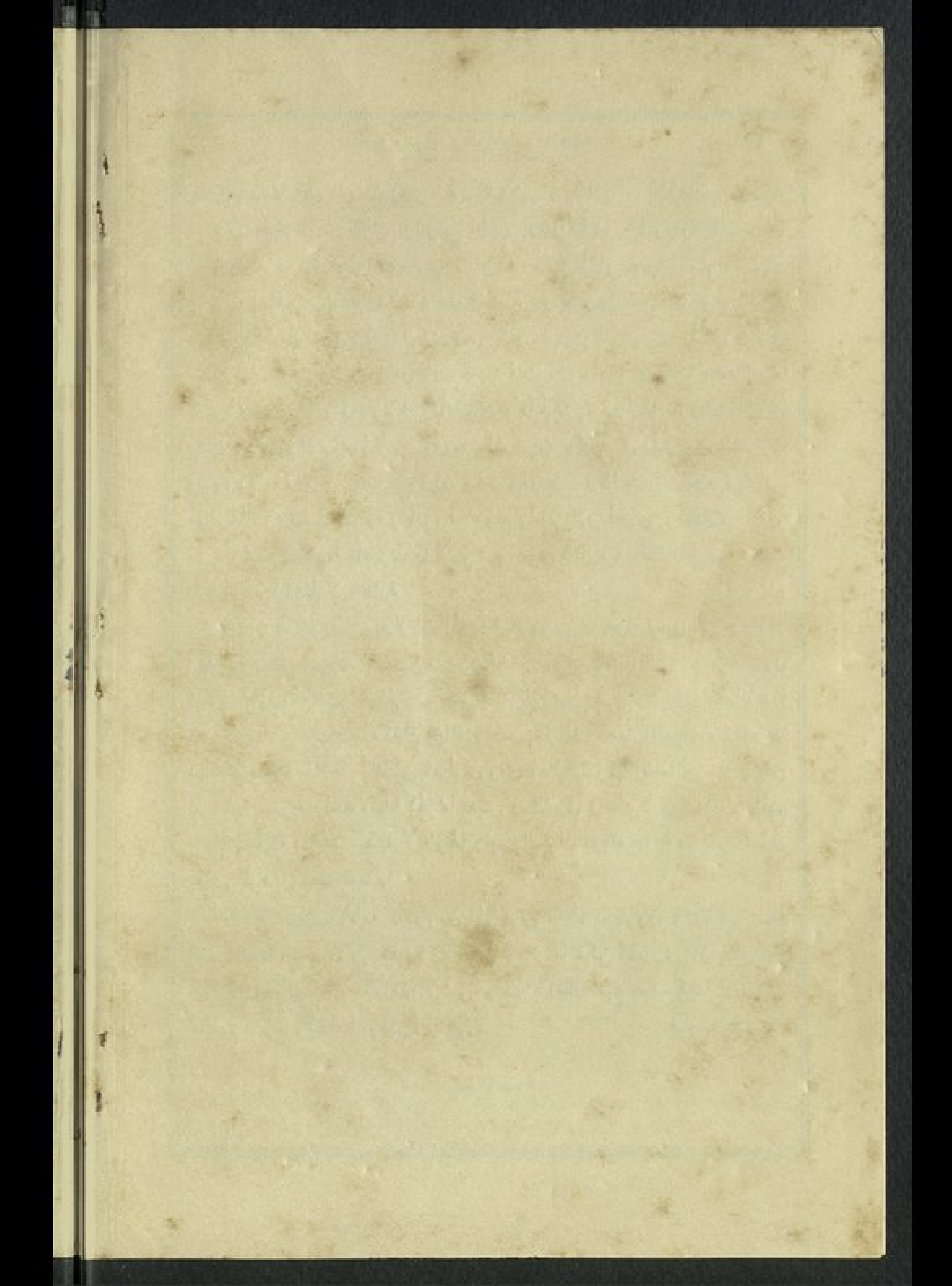
(1) "Neighbors, Studies in Immigration from the Standpoint of the Episcopal Church." ص ٦٧

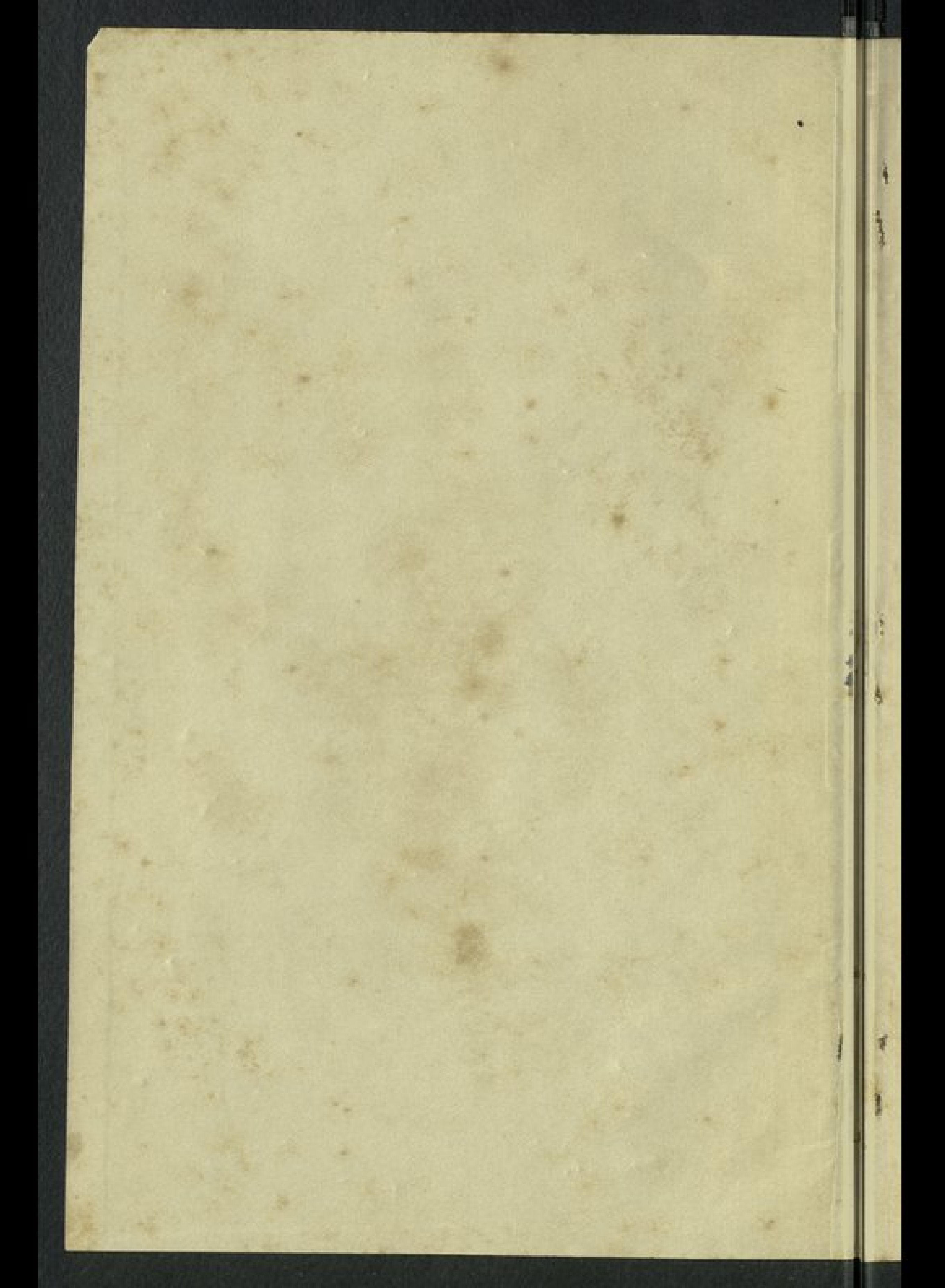
وما ذلك بالشر غير الممزوج بالخير كما يمكن ان يتبادر الى الاذهان . والرصيد في جانب الربح للوطن القديم وللوطن الجديد وللعالم اجمع . فبوجود السوريين هناك يتسع لغيرهم مجال الاقامة هنا وتتسرَّب منهم افكار جديدة وآراء حديثة واموال يستثمرها المتخلفون وينتفعون بها . وربَّ رجل تنفع بلادهُ بالابتعاد عنها اكثر من البقاء فيها شأن الكثيرين من البولنديين والبوهيميين المهاجرين الذين لولاهم لما بُعثت بلادهم بعد ان كانت قد دُفنت حية منذ سنين طال امدها . ومما لا ريب فيهِ ان تفوُّق الولايات المتحدة تفوُّقاً لم يشهد العالم التجاري الصناعي لهُ مثيلاً في تاريخ نشوئهِ ماكان في حيز الممكنات لولا عرق المهاجرين وعضلات الغرباء وادمغة الاجانب من سوريين وغير سوريين . واذا خسرت بلاد شيئاً من موادها الاولية في صورة رجال ونساء وتناولتهم بلاد اخرى وصقلت ما فيهم من المواهب الفطرية واظهرت ما لديهم من القوى الطبيعية الكامنة فيكون الرصيد ربحاً للعالم لا خسارة

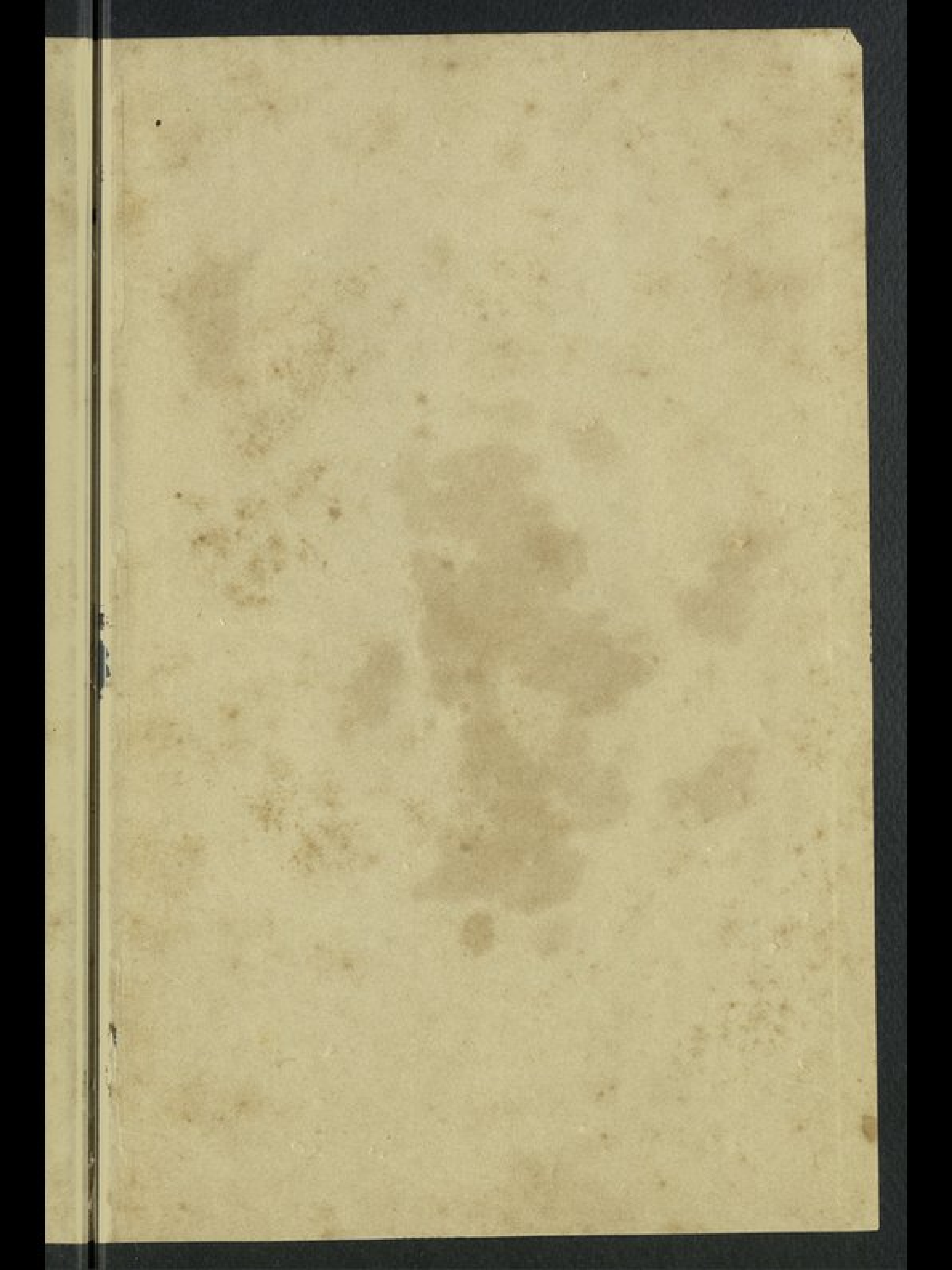
نعم ان السوريين في الولايات المتحدة يحرمون هواء لبنان النقي ومياههُ العذبة ومناظر سورية البهجة ويعدمون فضائل ملازمة لحياة البساطة ويخسرون عيشة الخلاء وساعات الفراغ ولكنهم يستعيضون من كل ذلك اضعافاً بما يتعوَّدونهُ من الجهاد والاقدام ويتلقنونهُ من طرائف العصر الحديث ويتمتعون ببركات مدنية خلاَّبة لم يسبق للعالم ان رأى مدنية تفوقها ايناعاً وزهاء يعيش المرء في اسبوع واحد منها اكثر مما يعيش في الشرق في عام كامل . على ان المهم من امر الحياة انما هو سعتها لا طولها وليس السؤال في امرها كم من السنين يعيش المرء بل كيف يعيشها

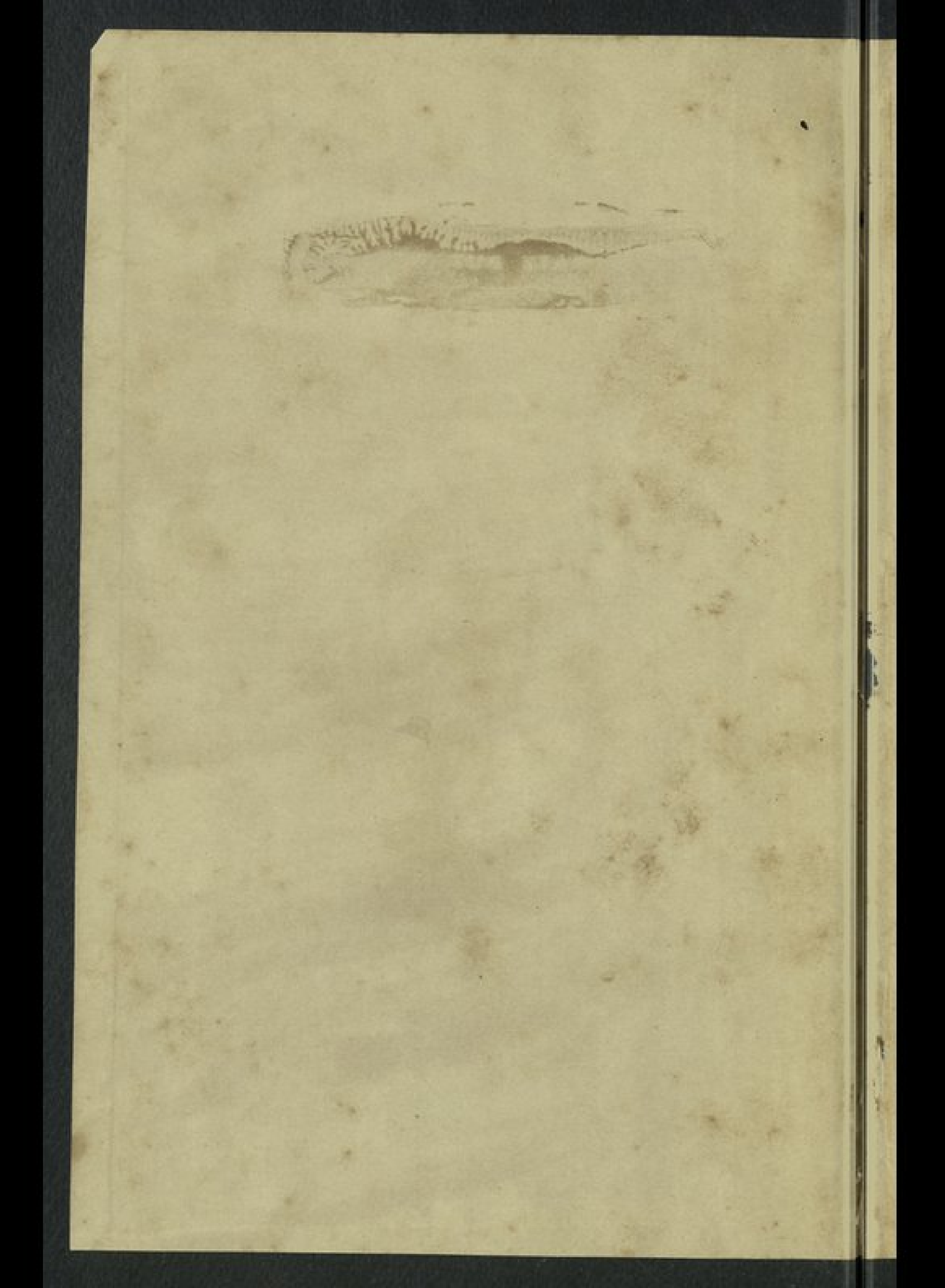
فلندعُ بطيب الاقامة للسوريين المهاجرين الذين يسطرون باسمنا في العالم الجديد صفحة من التاريخ مجيدة ويثبتون للملاء ما يمكن للسوري ان يصل اليهِ اذا تهيأت لهُ الوسائل المساعدة. ولتبقَ ربط الاتصال معهم حية مكينة اذ ان نجاحهم يسرُّنا وشقاءنا يؤلمهم . انتهى

فيليب حتي









DATE DUE

